

الأمثال التَّأبِيدِيَّة (دِرَاسَة أُسْلُوبِيَّة)

Idioms of Impossibility: Stylistic Study

د. نُورَة صُبَيَّان بَحِيَّت الجُهَنِي

أستاذ علم اللغة المشارك ، جامعة جدة

naljuhani@kau.edu.sa

ملخص:

يَقُومُ البَحْثُ عَلَى جَمْعِ الأَمْثَالِ التَّأبِيدِيَّةِ مِنْ كُنُوبِ اللُّغَةِ وَمَعَاجِمِهَا، وَمُصَنَّفَاتِ الأَمْثَالِ؛ وَآتِي تَدَلُّ عَلَى إِسْتِحَالَةِ حُصُولِ الأَمْرِ مَدَى الدَّهْرِ، وَمِنْ نَمِّ إلقاء الضَّوِّ عَلَى هَذَا اللُّوْنِ مِنَ الأَمْثَالِ الَّتِي لَمْ تُحَصَّصْ -حَسَبَ مَا توصل إِلَيْهِ البَحْثُ - بِدِرَاسَةٍ مُسْتَقَلَّةٍ؛ بِهَدَفِ تَتَبُّعِ الأَثَارِ الأُسْلُوبِيَّةِ فِيهَا مِنْ بِنَى صَوْتِيَّة، وَتَرْكِيْبِيَّةِ وَدَلَالِيَّة، وَيَقُومُ البَحْثُ عَلَى المُنْهَجِ الوُصْفِيَّالَّذِي يَتَنَاوَلُ البُنْيَةَ فِي مُخْتَلَفِ مُسْتَوِيَّاتِهَا.

كلمات مفتاحية: الأسلوبية، التأبيدية، ما الأبدية، التوقيتية، الأمثال، لا أفعله ما.

Abstract:

This research focuses on idioms that emphasis the impossibility of an occurrence, collected from language books and idioms dictionaries. It sheds light upon such type of idioms that have never been specified, according to the result of this research. The research aims to investigate these idioms' stylistic, phonetic, morphological and syntactic components. Following a descriptive approach, the study deals with structure at different levels.

Keywords: Stylistics, Impossibility, 'Ma' the impossible, Timing, Idioms, 'La Afaluhu Ma'

المقدمة:

دراسة الأمثال لأيّ أمة من الأمم تعكس عاداتها وتقاليدها، وفلسفتها المُستنبطّة من الحياة، كما تعطينا طابعًا عن أخلاقها، وطريقة تفكيرها، ومستوى لغتها؛ فهي سجلّ لوقائعهم، وترجمة حقيقتهم لأحوالهم الفكرية والاقتصادية والسياسية والاجتماعية. كما أنّها تصور واقع الحياة بما فيها من استقرارٍ واضطراب؛ فهي مرآة صادقة لحضارة البشرية على مرّ العصور. و" الأمثالُ حكمة العرب في الجاهلية والإسلام، وبها كانت تُعارض كلامها فتنبّغ بها ما حوّلت من حاجاتها في المنطق بكناية غير تصريح، فيجتمَع لها بذلك ثلاث خلال: إيجاز اللفظ، وإصابة المعنى، وحُسْن التّشبيه"⁽¹⁾

وقد اكتسبت الأمثال قيمتها بما امتازت به من إيجاز العبارة، وسهولة الحفظ؛ فحققت انتشارًا واسعًا بين أبناء البيئة الواحدة على اختلاف مشاربهم ومستوياتهم، وبما امتلكتها من سماتٍ خاصة جعلتها تتلاءم مع المواقف المتعددة التي يمرّ بها المُجتمع. هذا وغيره جعلها أكثر الأنماط اللغوية اندماجًا في لغة المجتمع، واستعمالات أفراده اليومية للغة يقول الرّمخسري (ت ٥٣٨ هـ): " الأمثالُ فُصارى فصاحة العرب العزباء، وجوامع كلمها، ونوادير حكمها، وبيضة منطقتها، وزُبد جوارها، وبلاغاتها التي أعربت بها عن القرائح السليمة، والرُكن البديع إلى ذرابة اللسان، وغرابة اللسن، حيث أوجزت اللفظ وأشبعت المعنى، وقصرت العبارة، فأطالت المعزى، ولوّحت فأغرقت في التصريح، وكنت فأغنت عن الإفصاح"⁽²⁾

وقد تنوّعت أنماط المثل وصوره ما بين أساليب خبرية وإنشائية، وتعدت الدراسات حوله. إلا أنّ هذه الدراسة سنتناول (الأبديّات) من الأمثال سواء أكان نمطها التركيبي مسبقًا ب (ما) الأبدية (التوقينية) أم لا.

ويروم البحث إلى تحديد المفهوم الاصطلاحي للتأبيد، والتعرّف على أنماط هذا اللون من الأمثال، وطرق صياغته، وما امتاز به من خصائص أسلوبية (صوتية وتركيبية ودلالية)

وتكمن مشكلة البحث في تحديد الأمثال التأبيدية، وتحديد مفهومها؛ ودراسها دراسة أسلوبية تقوم على معرفة البنية الصوتية وبنية الكلمة والتركيب والدلالة، بالإجابة عن الأسئلة التالية:

ما هي الأمثال التأبيدية، وما مفهومها؟

ما العلاقة بين الأمثال التأبيدية، وفكرة الاستحالة؟

ما الأنماط التي تُبنى عليها الأمثال التأبيدية؟

(1) الهروي، أبو غبيد القاسم بن سلام (١٤٠٠ هـ - ٩٨٠ م) الأمثال، تحقيق: د. عبد المجيد قطامش (دمشق: دار المأمون للتراث) ٣٤. وانظر: السيوطي، عبد الرحمن جلال الدين (دب) المزهر في علوم اللغة وأنواعها، شرحه وضبطه وصحّحه: محمّد أحمد جاد المولى، ومحمّد أبو الفضل إبراهيم، علي البجاوي (صيدا- بيروت: منشورات المكتبة العصرية) ١: ٤٨٦

(2) الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد (١٩٨٧ م) المستقصى في أمثال العرب (بيروت: دار الكتب العلمية، ط ٢) ١: ٢

وتبرز أهمية الدراسة في النقاط التالية:

- ١- تقديم أسلوب من أساليب العرب في الأمثال.
- ٢- دراسة أسلوب الأمثال التأبيدية دراسة أسلوبية تبدأ بدراسة البنية الصوتية وتنتهي بدراسة البنية الدلالية.
- ٣- استخلاص مفهوم الأمثال التأبيدية ومعرفة أنماطها.

تعريف المثل: الميم والثاء واللام أصلٌ صحيحٌ يدلُّ على مناظرة الشيء للشيء. وهذا مثل هذا، أي نظيره، والمثل والمثال في معنى واحد. وربما قالوا مثيل كشيءه^(١)، ومثل الشيء صفته، والمثال: المقدار وهو من الشيء، والمثل: ما جعل مثالا أي مقدارا لغيره يُحْدَى عَلَيْهِ، ومثل له الشيء: صورته حتى كأنه ينظر إليه^(٢)؛ يقول الزمخشري (ت ٥٣٨هـ): "والمثل في أصل كلامهم: بمعنى المثل، وهو النظير. يقال: مثل ومثل ومثّل كشيءه وشبهه وشيئه"^(٣) وعلى هذا فالمعنى المُعْجَمِي يدور حول المشابهة والمماثلة والتصوير والمقدار والصفة والنظير.

وتعددت الأقوال في المعنى الاصطلاحي للمثل؛ فمن ذلك "المثل مأخوذ من المثال، وهو قولٌ سائرٌ يُشَبَّه به حال الثاني بالأول، والأصل فيه التشبيه"^(٤)، يقول المرزوقي (ت ٤٢١هـ): "اعلم أن المثل جملة من القول مُفْتَضَبَةٌ مُنْوَصلها، أو مُرْسَلَةٌ بذاتها؛ تتسم بالقبول أو تشتهر بالتداول، فننقل عما وردت فيه إلى كل ما يصح قصده به من غير تغيير يَحْفَظُها في لفظها، وعما يوجب الظاهر إلى أشباهه من المعاني؛ ولذلك نُضْرَبُ، وإن جهلت أسبابها التي حُرِجَتْ عليها"^(٥)

ومن تعريفات المُحدثين للمثل، يقول أحمد أمين: "الأمثال نوعٌ من أنواع الأدب يمتاز بإيجاز اللفظ، وحسن المعنى، ولطف التشبيه، وجودة الكناية؛ ولا تكاد تخلو منه أمة من الأمم، ومزية الأمثال أنها تنبع من كل طبقات الشعب، وليست في ذلك كالتشعر والنثر الفني؛ فإنهما لا ينبعان إلا من الطبقة الأرستقراطية في الأدب"^(٦) وهناك من قال المثل: "قولٌ موجزٌ سائرٌ، صائب المعنى تشبه به حالة حادثة بحالة سالفة"^(٧) ويقول رودلف زلهاميم: "المثل ليس تعبيراً لغوياً في شكل جملة تجريدية مُصَيِّبة"^(٨) وعلى هذا فالمثل صيغة تعبيرية مكثفة المعنى بالغة الدلالة، موجزة العبارة، تشكل إرثاً معرفياً مُشْتَرَكاً، تتناقلها الأجيال، قيلت في موقف معين، وهي قابلة للتطبيق على مواقف مُماثلة عبر الزمن.

(١) ابن فارس، أبو الحسن أحمد بن زكريا (٢٠٠٢ م) مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون (بيروت: اتحاد الكتاب العرب) مادة (م ث ل)

(٢) ابن منظور، جمال الدين، أبو الفصل محمد بن مكرم (١٩٥٥ م) لسان العرب (بيروت: دار صادر) مادة (م ث ل)

(٣) الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد (٢٠٠٩ م)، تفسير الكشاف، اعتنى به وخرّج أحاديثه: خليل مأمون شيجا (بيروت: دار المعرفة، ط ٣) ١: ٥١

(٤) الميداني، أبو الفضل أحمد بن محمد (١٢٩٠ م) مجمع الأمثال (طهران: الأستانة الرضوية) ١: ٩

(٥) المرزوقي، أبو علي أحمد بن محمد بن الحسين (د.ت) شرح الفصح للعجب، قراءة وتحقيق: د سليمان إبراهيم العايد، ٢٩٧، وانظر: السبوطي، المزهر في علوم اللغة وأنواعها ١: ٤٨٦ - ٢٩٧

(٦) أمين، أحمد (١٩٥٣ م)، قاموس العادات والتقاليد والتعبير المصرية (مصر - القاهرة: كلمات عربية للترجمة والنشر) ١: ٦١

(٧) قطامش، عبد المجيد (١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م) الأمثال العربية دراسة تاريخية تحليلية (دمشق: دار الفكر) ١١

(٨) رودلف زلهاميم (١٩٨٧ م) الأمثال العربية القديمة، ترجمة: رمضان عبد التواب (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط ٤) ٢٧

أما سمات المثل فقد جمعها الميداني (ت ٥١٨هـ) في قوله: "يجتمع في المثل أربعة لا تجتمع في غيره من الكلام: إيجاز اللفظ، وإصابة المعنى، وحسن التشبيه، وجودة الكناية، فهو نهاية البلاغة"^(١) وللكناية أثرها الكبير في تصوير وتشخيص المعنى مما يزيد الأمثال جمالاً، يلجأ إليها المتكلم حينما يريد الإبهام والتلويحاً الإفصاح والتصريح.

كما أن "للأمثال قوة على البقاء، لأنها عصاره تجارب إنسانية فهي تزخر بالحياة التي عمرت بها على مر العصور، ولما كانت الأمثال لونها من ألوان الحياة فلا بد لها من مقومات تجعل لها القدرة على المحافظة على كيانها، ومن هذه المقومات، استعمالها بين الخاصة والعامة، وتداولها في كل لسان؛ ذلك التداول الذي أكسبها بقاءً، وأمدّها بحياة عبر الأيّام"^(٢)

مفهوم (الأبدية):

الأبد محرّكة: الدهر مطلقاً وقيل: هو الدهر الطويل الذي ليس بمحدود. والجمع آباءً وأبؤد ونقل الشهاب عن الراغب أن آباء مؤلّد ليس من كلام العرب. والأبْدُ: الدائم. يقال أبْدُ أبْدٌ وأبْدٌ أي دائمٌ، والأبْدُ القديم الأزلي. وقالوا في المثل: (طال الأبْدُ على لبْد) يُضْرَبُ لكل ما قَدُمَ.^(٣) وجاء في شفاء الغليل: "قلت وقع في شعر الفرزدق، ونقل الثقات خلافه فهو عربيّ صحيح فصيح"^(٤)

و"الأبْدُ بالتحريك عبارة عن مُدَّة الزمان الممتد الذي لا يتجزأ كما يتجزأ الزمان وذلك أنه يُقال زمانٌ كذا، ولا يُقال أبْدُ كذا. وكان حقه ألا يثنى ولا يُجمع إذ لا يتصوّر حصول أبْدٍ آخر يُضَمُّ إليه فيثنى به، لكن قيل آباء، وذلك على حسَبِ تخصيصه في بعض ما يتناول، كتخصيص اسم الجنس في بعضه ثم يثنى ويجمع"^(٥)

وعلى هذا فالأبد يُطلق على الزمان الطويل الممتد، ولذا أُطلق على (ما) التي ترد في بداية بعض الأمثال التي تدلّ على أمر يستحيل حصوله (ما) الأبدية^(٦). وهي (ما) المصدرية الظرفية، وقد أُطلق عليها الرّضي (ت ٤٠٦هـ) (ما التوقينية)؛ وسُميت بالتوقينية لأنها تُقدّر بكلمة تدلّ على زمان، مثل وقت، ومدّة، وزمان. قال الرّضي: "وتختص (ما) المصدرية بنياتها عن ظرف الزمان المضاف إلى المصدر المؤول هي وصلتها به، نحو: (لا أفعل ما ذرّ شارق)، أي مدّة ما ذرّ، أي مدة ذوره،

(١) الميداني، مجمع الأمثال ١: ٦

(٢) السامرائي، إبراهيم (د.ت) في الأمثال العربية (الكويت: مطبعة حكومة الكويت) ١٤٣
(٣) الزبيدي، السيد محمّد مرتضى بن محمّد الحسيني (١٩٧١م) تاج العروس من جواهر القاموس، اعتنى به ووضع حواشيه: د. عبد المنعم خليل إبراهيم، والأستاذ: كريم سيد محمّد محمود (بيروت: دار الكتب العلميّة) (أ ب د)
(٤) الخفاجي، شهاب الدين أحمد بن محمّد بن عمر (د.ت) شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل، قدّم له وصححه: د. محمّد كشّاش (لبنان، بيروت: دار الكتب العلميّة) ٥٤

(٥) الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمّد (١٤١٢هـ-١٩٩٢م) مفردات ألفاظ القرآن، تحقيق: صفوان داودي (دمشق: دار القلم) ١: ٨
(٦) ذكرها بهذا الاسم: ابن سيده، أبو الحسن بن إسماعيل (١٤١٧هـ-١٩٩٦م) المخصّص، قدّم له: د. إبراهيم خليل جفال (لبنان- بيروت: دار إحياء التراث العربيّ، مؤسسة التاريخ العربيّ) ٤: ١٧١

وصلتها، إذن، في الغالب، فعل ماضي اللَّفْظ مثبت، أو منفى بلم، نحو: تهددني ما لم تلقني، ومعناها الاستقبال^(١)، والمعنى: "طلع قرن الشَّمْس، يقال: شرقت الشَّمْس : طلعت، وأشرقت: أضاءت، والتَّذكير على معنى القُرْن أو على مذهب لِحْيَة ناصِل، وامرأة عَاشِق"^(٢) وعلى هذا فالأبديّات: أمثال للدلالة على استمرار حدوث الفعل وأبديته.

وقد بُنيت صيغة الأفعال في العربيّة للدلالة على الزّمان فالفعل يدلّ على الزّمان بصيغته الصّرفيّة لما مضى وللحال وللأستقبال، وهذه المراحل الزّمنيّة مُتفاوتة الدّرجات؛ يقول سيبويه (ت ١٨٠ هـ): "أما الفعل فأمتلته أُخِدت من لفظ أحداث الأسماء، ويُنبت لما مضى، وما يكون ولم يقع، وما هو كائن لم ينقطع."^(٣) وهذه الأزمان هي:

- ١- الزّمن الماضي، وهو زمن اقترن بالفعل الماضي، ويدلّ على فعلٍ وقع قبل زمن التّكلم، مثل: ذَهَبَ، وجَلَسَ ونَآم. ولكنّ دلالة الفعل الماضي على حدثٍ وقع في الزّمن الماضي ليست مُلازمة لهذا الفعل؛ فالسّياق أو المقام من الممكن أن يُخرَج هذا الفعل لزمن غير الماضي. ومن مواضع دلالاته على المستقبل إذا تلا ما المصدرية الزمانيّة.
- ٢- الزّمن المُطلق أو المُبهم؛ وعبر عنه سيبويه بأنّه ما يكون ولم يقع، مثل فعل الأمر (أذْهَبْ) فالأمر هنا غير مقيد بزمن مُعيّن، فالذّهاب لم يقع.
- ٣- الحاضر أو المضارع، وعبر عنه سيبويه بأنّه ما هو كائن ولم ينقطع، نحو: (محمّد يصلّي الفرض) فإنّه خبرٌ عن صلاة كائنة زمن التّكلم، ولم تنقطع بعد مضي الحال أو الاستقبال.

والذي يعيننا هنا هو دلالة الفعل على زمن الحاضر المستمرّ.

- كما أنّ اللّغة العربيّة حظيت بألفاظ تدلّ صياغتها على الزّمن المُبهم، مثل (الأبديّ، والأمدّ، والدّهر، والعوّض، المُسنّد) وقد استخدمها واضع المثل للدلالة على استحالة حصول الأمر، كما سنرى.
- ومن أسماء الدّهر التي وردت في الأمثال التّأبيديّة: (الأزلم الجذع) لجدته، ولأنّه لا يفنى، يُقال: (لا آتيك الأزلم الجذع)^(٤) والجدع: الصّغير السنّ من الإبل، وغيرها، والجدع: اسمٌ له في زمنٍ ليسَ بسنٍّ تُنبُت، ولا تُسقط، وتُعاقبها أُخرى. والمعنى: لا آتيك أبداً، ومَعناه أن الدّهر باقٍ على حاله لا يتغيّر أبداً، فهو جدعٌ لا يُسن.^(٥) وكذا (المُنون) في قولهم: قولهم: (لا أفعله أُخرى المُنون)^(٦) أي آخر الدهر.^(٧)

(١) الرضي الاسترأبادي، محمد بن الحسن (١٩٧٨م) شرح الرضي على الكافية، تحقيق: يوسف حسن عمر (ليبيا، بنغازي: منشورات جامعة قارونس، طبعة منقّحة) ٤: ٤٤٠

(٢) الزمخشري، المستقصى في أمثال العرب ٢: ٢٤٨

(٣) سيبويه (١٩٨٢م) الكتاب، تحقيق: عبد السلام هارون (القاهرة: مكتبة الخانجي، ط ٢) ١: ٣

(٤) الزمخشري، المستقصى في أمثال العرب ٢: ٢٥١

(٥) ابن منظور، لسان العرب (ز ل م)

(٦) ابن سيده، المخصّص ٤: ١٧١، السيوطي، المزهر ٢: ١٦٣

(٧) ابن منظور، لسان العرب (م ن ن)

- البنية الصوتية، وبنية الكلمة في لأبديات من الأمثال:

الصوت من الظواهر اللغوية التي تُعنى بها الدراسات الأسلوبية؛ إذ تهدف الأسلوبية إلى دراسة البنية الصوتية من حيث: دراسة الأصوات مجردة، ودراسة الإيقاع وأثره الجمالي، ودراسة العلاقة بين الصوت والمعنى بهدف الوصول إلى مدى الانسجام بين الدلالة والإيقاع الصوتي.

والعلاقة بين الصوت والمعنى من القضايا التي كانت محور اهتمام المفكرين واللغويين، قديماً وحديثاً، بما أثارته من جدل تمخض عنه اتجاهان مُتباينان؛ فنجد أنّ الخليل (ت ١٧٠هـ) مثلاً حاول إثبات هذه العلاقة حيث قال: " فكأنهم توهّموا في صوت الجندب استطالة ومدّاً، فقالوا: صر، وتوهّموا في صوت البازي تقطيعاً فقالوا: صرصر" (١)، فالصوت عنده أثر في المعنى، ووافقه تلميذه سيبويه (ت ١٨٠هـ) إذ أشار إلى وجود علاقة ليس بين اللفظ ومدلوله فحسب، وإنما بين الصيغة وما تدلّ عليه، نحو دلالة صيغة (فعلان) على الرّزعة والاضطراب والتّحرك. (٢) وظهرت الفكرة عند ابن فارس (ت ٣٩٥هـ) في تأليفه لمعجمه المقاييس؛ إذ ردّ أصول الكلمة إلى أصل واحد أو أكثر. ثمّ كان ابن جني (ت ٣٩٢هـ) من أكثر المتحمسين للفكرة فعقد في كتابه الخصائص فصلاً أربعة لإثبات هذه القضية (٣).

وممن أنكر هذه العلاقة التّفنّازاني (ت ٧٩١هـ) يقول: "تفق الجمهور على إنّ هذا القول فاسد؛ لأنّ دلالة اللفظ على المعنى لو كانت لذاته كدلالته على الألفظ؛ لوجب أن لا تختلف اللغات باختلاف الأمم" (٤)

وفي اللسانيات الغربية الحديثة نجد من قال بهذه العلاقة، ومنهم: توماس الأكويني الذي يرى "أنّ الأسماء يجب أن تتفق وطبيعة الأشياء" (٥)، وكذا فيرث الذي أثبت وجود العلاقة بين الكلمات التي تبدأ بحرفين متجانسين أو أكثر. (٦) ومن أشدّ المعارضين لهذه العلاقة دي سوسير (ت ١٩١٣م) يقول: " إنّ الرّابط الذي يجمع بين الدال والمدلول رابط اعتباطي" (٧)

ونذكر من المحدثين العرب ممن تحمّس لفكرة العلاقة جرجي زيدان؛ فقد ذهب إلى أنّ الحرف الواحد له القدرة على تنويع المعنى الأصلي للكلمة التي تشترك مع ألفاظ أخرى بحرفين يكونان هما الأصل ويحملان المعنى الأصلي، فيكون للحرف الرّائد تنويع طفيف. (٨) وكذا العلابي الذي حاول الوصول إلى معاني للحروف العربية؛ فالفهمزة مثلاً تدلّ على الجوفية، والباء على بلوغ معنى الشيء، وهكذا باقي الحروف. (٩)

(١) ابن جني، أبو الفتح عثمان (١٩٥٥م)، الخصائص، تحقيق: محمّد علي النجار (بيروت: دار الهدى للطباعة والنشر، ط ٢) ٢: ١٥٢

(٢) سيبويه، الكتاب ٤: ١٤

(٣) هي: "تلاقي المعاني على اختلاف الأصول والمباني"، و"الاشتقاق الأكبر"، و"تصاقب الألفاظ لتصاقب المعاني"، و"إمساس الألفاظ أشباه أشباه المعاني"

(٤) التّفنّازاني، سعد الدين مسعود بن عمر (١٩٧١م) شرح تلخيص مفتاح العلوم، تحقيق: د. عبد الحميد هندواي (بيروت: دار الكتب العلميّة)

٥٧١

(٥) فنديريس (١٩٥١م) اللغة، تعريب: عبد الحميد الدواخلي، ومحمّد القصاص (القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية) ٢٣٥

(٦) مبروك، مُراد عبد الرحمن (٢٠١٢م) النظرية النقدية من الصوت إلى النص (جدة: النادي الثقافي الأدبي) ٣٦

(٧) دي سوسير، فرديناند (١٩٨٥م) دروس في الأسس العامة، تعريب: صالح الفرمادي وآخرون (الدار العربية للكتاب) ١١١

(٨) زيدان، جرجي (د.ت) الفلسفة اللغوية والألفاظ العربية، مراجعة: مراد كامل (بيروت: دار الهلال) ٩٩

(٩) علي، أسعد أحمد (١٩٨٥م) تهذيب المقدمة اللغوية للعلابي (دمشق: دار السؤال للطباعة والنشر، ط ٣) ٦٤

في حين نجد من المحدثين العرب من رأى خلاف ذلك، ومنهم إبراهيم أنيس؛ يقول: "ولا شك أن الذين يُنكرون الصلّة بين الأصوات والمدلولات هم أقرب الفريقين إلى فهم الطبيعة اللغويّة"⁽¹⁾

وهكذا تباينت الآراء بين مؤيدٍ ورافضٍ للفكرة؛ والذي نراه وجود تلك العلاقة بين الأصوات ومدلولاتها؛ فالكلمة تكتسب دقتها وقوتها في التعبير من طبيعة أصواتها؛ فـ "النظام الصوتي للغة مكوّن من عدد محدود من الأصوات تختلف من لغة إلى أخرى، وتتميز الأصوات عن بعضها البعض بعددٍ من الخصائص الناتجة عن عمليّة النطق أو إخراج الصوت؛ بمعنى أن خروج كمية من الهواء عبر الجهاز الصوتي يجعل للصوت خصائص معينة نتيجة لاحتكاك الهواء بمواضع معينة في هذا الجهاز. تلك الخصائص ينقلها الهواء في شكل موجة (أو موجات) صوتية إلى أذن السامع"⁽²⁾

ودراسة البنية الصوتية في اللغة تُعدّ اللبنة الأولى في الدراسات الأسلوبية، وهو الأساس الذي تقوم عليه دراسة البنية الإيقاعية للأمثال؛ ومن الظواهر الصوتية التي وجدناها في الأمثال الأبدية:

- التكرار

حظي التكرار بعناية علماء اللغة قديماً وحديثاً، ويُراد به: "دلالة اللفظ على المعنى مُردداً"⁽³⁾، وبه تتقرّر المعاني، وتزداد بنية المثل تأكيداً وبراعة، وسهولة في الحفظ، وقد قيل: "الكلام إذا تكرّر تقرّر"⁽⁴⁾، والتكرار من الظواهر اللغوية التي تُشكّل سمة أسلوبية بارزة في بنية الأمثال العربية لما له من دور في تكثيف الدلالة، ولما يُحدثه في بنية المثل من إيقاع فني جميل، فالإيقاع يُنظّم "أصوات اللغة بحيث تنوّال في نمطٍ زمنيّ محدّد، ولا شك أن هذا التنظيم يشمل في إطاره خصائص هذه الأصوات كافة"⁽⁵⁾

ونلاحظ التكرار في هذه المجموعة من الأمثال على مستوى المثل الواحد مع إيجازه الشديّد، وعلى مستوى المجموعة كلّها، فعلى مستوى المثل نجد تكرار كلمتين اتّفقتا مَبْنِيٍّ وَمَعْنَى، ممّا يؤدي إلى تكرار أصواتهما، ومن ذلك: (لا أفعُله ما أن السّماء سماء)⁽¹⁾؛ إذ تكرّرت كلمة (سماء)، مع تغيير بسيط من ناحية التعريف والتّكثير، ولا يُفصل بين الكلمتين فاصل؛ في عبارة بسيطة التركيب مُوجزة مُكثّفة الدلالة، والمعنى: لا أفعُله ما دامت السماء سماء؛ أي لا أفعُله أبداً. والكلمة المُكرّرة جاءت (نكرة) أكسبت المثل كثافة دلاليّة؛ فكلُّ ما علاك فأظنك فهو سماء،⁽⁷⁾ والمعنى: ما دامت السماء تظلك وتعلوك،

(1) أنيس، إبراهيم (1984م) دلالة الألفاظ (القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، ط5) 62
(2) البحر اروي، د. سيد (1993م) العروض وإيقاع الشعر العربي (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب) 110
(3) ابن الأثير، ضياء الدين (1973م) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تحقيق: أحمد الحوفي، وبدوي طبانة (مصر، القاهرة: دار نهضة مصر) 3: 93
(4) التهانوي، محمّد علي (1996م) موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، تحقيق: علي دحروج (بيروت، مكتبة لبنان) 1: 502
(5) البحر اروي، العروض وإيقاع الشعر العربي، 112
(6) ابن سيده، المخصّص 4: 171، الميداني، مجمع الأمثال 2: 178، الزمخشري، المستقصى في أمثال العرب 2: 246
(7) الثعالبي، أبو منصور عبد الملك بن محمّد بن إسماعيل (1420هـ - 2000م) كتاب فقه اللغة وأسرار العربية، ضبطه وعلّق حواشيه: ياسين ياسين الأيوبي (صيدا، بيروت: المكتبة العصرية، ط2) 43

إضافة إلى الإيقاع الجمالي المادي الذي تجلّى حين أحدث التنوين وقعاً صوتياً عالياً صاحبه رنين ممتدّ رفع وتيرة الإيقاع،⁽¹⁾ والتكرار هنا تكرر مماثلة، وبناء على هذا تكرر صوت (السين) وهو صوت صفيري احتكاكي مهموس عند النطق به يسمح بمرور الهواء دون انفتاح المخرج انفتاحاً تاماً، فيأتي صوت الميم الأنفي المجهور فينحبس الهواء عند النطق به انحباساً شديداً. مع استمرار خروجه، وهذا الاستمرار يتناسب مع امتداد المدّة القائمة على دلالة استحالة فعل الشّيء مدى الدهر. وإذا كانت السين مهموسة فإننا نجد في مقابلها (الميم والهمزة) وهما من الأصوات المجهورة الشديدة التي أكسبت المثل قوّة تتناسب مع شدّة الرّفص.

ومن التّكرار أيضاً (لا أفعله ما دعا الله داع)⁽²⁾؛ إذ استعمل المثل في هذه البنية التركيبية صيغة اسم الفاعل (داع) المشتقة من الفعل (دعا) وأصل الكلمة (داعي) وقع فيها إعلال في الحذف، والأصل فيالحركة هي الضمّة فاستنقلت على الياء المكسور ما قبلها؛ لأنها قد صارت مدّة كالألّف؛ لسعة مخرجها، وكوّن حركة ما قبلها من جنسها؛ فحذفت الضمّة؛ وفقاً لقانون التيسير اللغوي، ولما حذفت؛ سنكت الياء، وكان التنوين بعدها ساكناً؛ فحذفت لالتقاء الساكنين. وتكرر في المثل صوتي (الدال) و(العين) في الفعل وفاعله وكذا اللّام في لفظ الجلالة وكلّها أصوات مجهورة شديدة تنسم بالقوّة التي تتناسب مع شدّة الرّفص الذي لا يتوقف عند زمن معين. كما أنّ الإيقاع الذي يحدثه تكرر الصائت الطويل (الألف) نتيجة لزيادة زمن نطقه جاء منسجماً مع دلالة المثل على استحالة الفعل المشروط بوجود من يدعو الله على مرّ الزمن.

وقد يكون التّكرار بذكر مشتق من مشتقات الكلمة نحو: (لا أفعله دهر الدّهارير)⁽³⁾، فالتكرار هنا أفاد المبالغة، والدّهر هو "الزّمان الطويل، والأمد الممدود، وألف سنة، جمع: أدهر ودهور... والدّهارير: أوّل الدّهر في الزمن الماضي، بلا واحد"⁽⁴⁾ ومثله التكرار في: (لا أفعله أبداً الأبدية، وأبد الأبيد، وأبد الأبدين)⁽⁵⁾

وكما تكررت أصوات الكلمة ذاتها أو ما هو من مشتقاتها تكررت الأصوات؛ ومن ذلك: (لا أفعله حيري دهر)⁽⁶⁾ دهر⁽¹⁾ فكرر صوت الزّاء الذي تفرّد بين أصوات العربية بصفة التّكرار يساهم في الدلالة على الاستمرار؛ لأنّ صفته صفة المميزة له هي: "تكرار طرق اللسان للحنك عند النطق به"⁽⁷⁾ وتقارب مخرجي (حاء والهاء) واشتركا في صفة الرخاوة التي تسمح بجريان الصوت جرياناً تاماً لعدم إعاقة المخرج ممّا يساهم في تكثيف دلالة استمرار الرّفص.

(1) حمدان، ابتسام (1997م) الأسس الجمالية للإيقاع البلاغي (حلب: دار القلم العربي) ص 232

(2) ابن سيده، المخصّص 4: 171، الزمخشري، المستقصى في أمثال العرب، 2: 248

(3) الميداني، مجمع الأمثال 2: 197

(4) الفيروز أبادي، محمد بن يعقوب مجد الدين (1426هـ-2005م) القاموس المحيط (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط8) (د هـ ر)

(5) ابن سيده، المخصّص 4: 172، السيوطي، المزهري في علوم اللغة وأنواعها، 2: 164

(6) ابن سيده، المخصّص 4: 170، السيوطي، المزهري في علوم اللغة وأنواعها، 2: 164

(7) أنيس، إبراهيم (1961م) الأصوات اللغوية (القاهرة: دار الطباعة الحديثة) 55

وكذا تكرار صوتي (الغَيْن) و(الباء) في: (لا أَفْعَلُ كَذَا مَا عَبَا غُبَيْسٌ)^(١) فالغَيْن: مجهور رخو. ومخرجه من بين أدنى الحلق الى الفم قرب اللّهاء، والباء: مجهور شديد، ومخرجه من بين الشَّقَتَيْن؛ إذ يمرّ الهواء بالحنجرة فتتحرك الأوتار الصوتيّة، ويستمرّ الهواء حتّى ينحبس عند الشَّقَتَيْن، فإذا انفجرت الشَّقَتان سمعنا صوت الباء الانفجاريّ. هذه الشدّة تتناسب مع شدّة الرّفض واستحالته، واتباع الباء بصانته طويل في (غَبَا) أو بشبه الصانته في (غُبَيْس) وما يتبعه من استمرار خروج الهواء يُشير إلى امتداد الرّمن، واستمراره.

كما نلاحظ في هذه النماذج من الأمثال وغيرها تكرار المقاطع الصوتيّة المفتوحة الطويلة، المكوّنة من صامت وصانته طويل، والتي تحتاج إلى زمن أطول في النطق، مع ما تتميز به من وضوح في السّمع، ومع ما فيها من استمرار خروج النّفّس، إذ يمتدّ الهواء حال النطق بها خلال مجراه ويستمرّ في الامتداد لا يقطعه شيء، ولا يمنع استمراره أيّ عارض ولا ينتهي الهواء إلّا بانتهاء نطق الصّوت نفسه.^(٢) الذي يتناسب مع الامتداد الرّمزيّ الطويل. ونلمح تكرار المقاطع المفتوحة الطويلة غالبية في هذا اللون من الأمثال، ومن تلك الأمثال التي لم تخل كلمة فيها من مقطع طويل مفتوح: (لَا آتِيكَ حَتَّى يُؤُوبَ الْقَارِظَانَ)^(٣)، و(إِذَا مَا الْقَارِظُ الْعَنْزِيُّ أَبَا)^(٤)، و(لَا آتِيكَ مَا دَامَ السَّعْدَانُ مُسْتَلْقِيًا)^(٥)، و(لَا أَفْعَلُهُ حَنْبَيْشِيْبُ الْعُرَابِ)^(٦)، و(لَا أَفْعَلُهُ أُخْرَى اللَّيَالِي)، أو (أُخْرَى الْمُؤُونِ)، أو (سَمِيرُ اللَّيَالِي)، أو (سَجِيْسُ اللَّيَالِي)^(٧)، أو (مَا أَقَامَ عَسِيْبٌ)^(٨)، أو (مَا لَاحَ النَّيْرَانِ)، أو (مَا دَامَتْ يَمِيْنِي رَفِيْقَةُ شِمَالِي)^(٩)

الجناس

التَّجْنِيْسُ: تفعيل من الجِنْسِ، وَمِنْهُم مَن يَقُولُ مِنَ الْجِنَاسِ، وَمِنْهُم مَن يَقُولُ مِنَ الْمَجَاسَةِ، لِأَنَّ إِحْدَى الْكَلِمَتَيْنِ إِذَا شَابِهَتِ الْآخْرَى وَقَعَ بَيْنَهُمَا مُفَاعَلَةٌ الْجِنْسِيَّةُ وَالْمَجَاسَةُ. والجناس مصدر جانس، وَمِنْهُم مَن يَقُولُ مِنَ التَّجَانِسِ وَهُوَ التَّفَاعُلُ مِنَ الْجِنْسِ أَيْضًا وَلَمَّا انْقَسَمَ أَقْسَامًا كَثِيرَةً وَتَنَوَّعَ أَنْوَاعًا عَدِيدَةً تَنَزَّلَ مِنْزَلَةُ الْجِنْسِ الَّذِي يَصْدُقُ عَلَى كُلِّ وَاحِدٍ مِنْ أَنْوَاعِهِ، فَهُوَ جَبِيْذٌ جِنْسٌ.^(١٠) والجناس يحسن في الكلام إذا قلّ، وأتى في الكلام عفواً من غير كيدٍ ولا استكراه.^(١١)

(١) العسكري، الحسن بن عبد الله بن سهل (١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م) كتاب جمهرة الأمثال، تحقيق: محمّد أبو الفضل إبراهيم، وعبد المجيد قطامش (بيروت: دار الجيل، ودار الفكر، ط٣) ٢: ٢٨٢، ابن سيده، المُخَصَّص: ٤: ١٧١، الميداني، مجمع الأمثال ٢: ١٩٠، الزمخشري، المستقصى في أمثال العرب ٢: ٢٥٠
(٢) بشر، كمال محمّد (دب) الأصوات العربيّة (القاهرة: مكتبة الشباب) ص ٨٠
(٣) الميداني، مجمع الأمثال ٢: ١٦٣
(٤) الميداني، مجمع الأمثال ١/٧٥؛ العسكري، جمهرة الأمثال، ١: ١٠٣، الزمخشري، المستقصى، ١: ١٢٧، الهروي، الأمثال ٤: ٣٤٤
(٥) الميداني، مجمع الأمثال ٢: ١٨٤
(٦) الجاحظ، أبو عثمان عمر بن بحر (١٩٧١م) كتاب الحيوان، وضع حواشيه: محمّد باسل عيون السود (بيروت: دار الكتب العلميّة) ٣: ٢٠٣، ٢٠٣، العسكري، جمهرة الأمثال ١: ٣٦٣
(٧) ابن سيده، المُخَصَّص: ٤: ١٧١، السيوطي، المزهر ٢: ١٦٣
(٨) الأزهر، تهذيب اللغة (ع س ب)
(٩) الهمداني، عبد الرحمن بن عيسى بن حماد (١٩٧١م) كتاب الألفاظ الكتابيّة، قدّم له ووضع حواشيه وفهارسه: د. اميل يعقوب (لبنان- بيروت: دار الكتب العلميّة) ص ١٨٥
(١٠) أبو البقاء الكفوي، أيوب بن موسى الحسيني (١٤١٩هـ - ١٩٩٨م)، الكليات، معجم في المصطلحات والفرق اللغويّة، تحقيق: عدنان درويش، ومحمّد المصري (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط٣) ٢٧٥
(١١) ابن حجة الحموي، تقي الدين أبو بكر علي (١٩٩١م) خزانة الأدب وغاية الأرب، شرح: عصام شقيو (بيروت: دارمكتبة الهلال) ١: ٥٥

وهو فنٌّ من الفنون البلاغية يعتمد على التشابه الصوتي بين الألفاظ داخل النصِّ الواحد ممَّا يمنحه إيقاعًا جماليًا، والجناس في الاصطلاح: "أنَّ يتشابه اللفظان في النطق ويختلفان في المعنى"^(١)، والتشابه إمَّا أن يكون تماثلًا تامًّا بين بين كلمتين من ناحية الأصوات مع اختلاف الدلالة، وهذا ما لم نجده في الأمثال موضع الدراسة، وإمَّا أن يكون تشابهًا صوتيًّا بين لفظين مع اختلاف الدلالة أيضًا، وهو ما وجدناه بكثرة واضحة في هذه الأمثال، ومن ذلك ما جاء في: (لا أفعله ما جَمَرَ ابنُ جَمِيرٍ)^(٢)، فالجيمُّ والميمُّ والرَّاءُ أصلٌ واحدٌ يدلُّ على التَّجمُّع، وابنُ جَمِيرٍ: اللَّيْلُ الْمُظْلِمُ.^(٣) وابنُ جَمِيرٍ: جَمِيرٍ: اللَّيْلُ والنَّهار، سُمِّيَا بذلك للاجتماع كما سُمِّيَا ابنا سَمِيرٍ لأنَّهُ يُسَمَّرُ فيهما.

ويقال للقمر في آخر الشهر ابنُ جَمِيرٍ لأنَّ الشمس تجمره أي تواريه، وقيل: ابنُ جَمِيرٍ: اللَّيْلَانِ يَسْتَسِرُّ فيهما القَمَرُ. وأجمرت اللَّيْلَةُ: استسرت فيها الهلال. وابنُ جَمِيرٍ: هلال تلك الليلة. ونجد التوافق الصوتي بين الكلمتين (جَمَرَ) و(جَمِيرٍ) وهو ما أطلق عليه البلاغيون الجنس غير التام؛ إذ زيد حرف في اللفظة الثانية، وحكي عن ثعلب: ابنُ جَمِيرٍ على لفظ التَّصغير في كلِّ ذلك قال: يقال: جاءنا فحمة بنُ جَمِيرٍ.

فالجناس أعطى المثل إيقاعًا صوتيًّا سببه تلاؤم الأصوات وانسجامها، كما أعطاه جمالًا فنيًّا رائعًا، وموسيقى ساهمت في حفظ المثل وبقائه.

ومثله: (لا أفعله ما سَمَرَ ابنُ سَمِيرٍ)^(٤) وجاء برواية أخرى (لا أفعله ما سَمَرَ بنا سَمِيرٍ)^(٥) إذ فصل بين الفعل والفاعل بشبه جملة، وتكررت أصوات الفعل وفاعله (السين والميم والراء) في هذا المثل، وصوت الراء صوت مجهور، متوسط بين الشدة والرَّخاوة، يقبل التَّفخيم والتَّرقيق، ويتميز بصفة خاصَّة لا توجد في غيره من أصوات العربية، وهي صفة التَّكرار، حيث يتكرَّر طرف اللسان مع ما يحاذيه من الحنك الأعلى عند النُّطق به؛ وعلى هذا فهو يحمل دلالة امتداد الزَّمن، واستمراره. وهذه الأمثال وما فيها من جناس يمكن أن ندخلها تحت ما يُسمَّى بالجناس الاستهلاكيّ (alliteration)، وهو: تكرار صوت معين في بداية كلمات متتالية أفقيًّا، بغض النَّظر عن الحركة، وهو كثير في هذا اللون من الأمثال، نحو: (لا أفعله ما أنَّ السَّمَاءَ سماءً)، (لا أفعله ما دعا الله داعٍ)، (لا أفعله دَهْرَ الدَّهَارِينِ)، (لا أفعله عوض العائضين)، (لا أفعله أبدًا الأبدية)، (لا أفعله أبد الأبيد)، (لا أفعل كذا ما غبا غيبسٌ)، (لا أفعل ذلك أبدًا سَمَدًا سَرْمَدًا)،^(٦) (لا أفعله ما حَلَبَ حَالِبٌ أضرع الدهر)^(٧)، والأخير من باب تشبيه الدهر بالنَّاقة التي تُحلب، وحلبت هذا الدهر: جمعت ما فيه من الحوادث وجربتها.

(١) السعدي، عيسى إبراهيم (٢٠١٢م) المرجع الشافي في البلاغة العربية: (البيان. المعاني. البديع)، (عمان: دار أمواج للنشر والتوزيع)

ص ١١٥

(٢) الميداني، مجمع الأمثال ٢: ١٨٧

(٣) ابن فارس، مقاييس اللغة (ج م ر)

(٤) الميداني، مجمع الأمثال ٢: ١٩٧

(٥) العسكري، جمهرة الأمثال ١٠٣/١

(٦) الميداني، مجمع الأمثال ٢: ١٧٠-١٧٨

(٧) المرزوقي، أبو على أحمد بن محمد بن الحسن (١٤١٧هـ) كتاب الأزمنة والأمكنة (بيروت: دار الكتب العلميّة) ١: ٢١٩

ومن الجناس تكرر صوتي (الميم والراء): (لا أتيك السَّمَرِ وَالْقَمَرِ)^(١) والسمر: سواد الليل، ومنه اشتقاق المسامرة وهي المحادثة بالليل خاصة، أي لا أفعلهُ سواد الليل وبياضه بطلوع القمر فيه.

ومنه أيضاً: (لا أفعل كذا ما اختلفت الذرة والجرّة)^(٢)، والذرة: كثرة اللبن وسيلانه، والجرّة: ما تجتره الدابة ممّا أكلته فتمضغه من جديد، واختلافهما أنّ الجرّة تعلقو إلى الفم، والذرة تسفل إلى الضرع.^(٣) والاتفاق الصوتي بين كلمة (الذرة) و(الجرّة) في صوتي (الراء المُشدّدة) و(التاء المربوطة) مع الاتفاق في الميزان الصرفي (فعلّة)، خلق نوعاً من الإيقاع السّمعي الجميل.

ومن ذلك أيضاً: (لا أتيكسجيسعجيس)^(٤) وهذا المثل يصنّف من الإتياع اللغوي الذي تشبه فيه الكلمة الثانية الأولى في الوزن، وفي معظم الأصوات، ممّا يُضفي على المثل قيمة إيفاعية واضحة، فالإتياع: " أن تُتبع الكلمة الكلمة على وزنها أو رويها إشباعاً وتأكيداً"، وسئل بعض العرب عن ذلك فقال: " هو شيء نبتُ به كلامنا"^(٥) أي نقويه، وتشابهت الكلمتان (سجيس) و(عجيس) في الوزن على (فعليل) الأول بفتح الفاء والثاني بضمها، كما تشابهت في عدد الأصوات ولم تختلفا إلا في الصامت الأول، وشكل الصائت القصير. وإنما سُمي عجيساً لأنه يبطئ فلا يذهب،^(٦) وقد روي المثل بطريقتين تقاربت مخارج الحروف فيهما مع اتفاق الدلالة: (لا أتيك سجيسعجيس)^(٧) و(لا أتيك سجيسعجيس)^(٨) فالعين مخرجها من وسط الحلق، والغين من أدنى الحلق، والجيم شجرية مخرجها من وسط اللسان وما يحاذيه من الحنك الأعلى، والباء شفوئية مخرجها ممّا بين الشفتين.^(٩)

وبين (سجيس) وكلمة الإتياع سواء (عجيس) أو (غبيس) (مزاوجة) إذ بدأت الكلمة الأولى بصوت السين الذي انتهت به الثانية؛ ممّا يخلق لدى السّامع رنة صوتية تجعله يحفظ المثل، ويستلذ تكراره خاصة وأنّ المثل قليل الكلمات، كما تماثلت الأصوات بين الكلمتين إلا في الصّوت الأول (السين) في مقابل (العين) وفي هذا اقتصاد في الصّوت على مستوى الكلمة المُستعملة.

ولعلّ وظيفة الجناس بما يُحدثه من تشكيل صوتي للمثل في ذهن المتلقّي يدفعه لإعمال فكره بحثاً عن العلاقات الدلالية التي تربط بين الكلمتين ممّا يشدّ انتباهه، ويدفعه لحفظ المثل، واستحضاره في المواقف المشابهة.

(١) الميداني، مجمع الأمثال ٢: ١٧٨
(٢) ابن سيدة، المُخصّص ٤: ١٧١، الميداني، مجمع الأمثال ٢: ١٨٣، الزمخشري، المستقصى في أمثال العرب ٢: ٢٤٥
(٣) ابن منظور، لسان العرب (ج ر ر)
(٤) ابن سيدة، المُخصّص ٤: ١٧٠، الميداني، مجمع الأمثال ٢: ١٩٧، الزمخشري، المستقصى في أمثال العرب ٢: ٢٤٤
(٥) ابن فارس، أبو الحسين أحمد (١٩٩٣) الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها، تحقيق: عمر فاروق الطباع (بيروت: مكتبة المعارف) ٢٧٠
(٦) الميداني، مجمع الأمثال ٢: ١٩٧
(٧) الميداني، مجمع الأمثال ٢: ٢٣٢
(٨) ابن منظور، لسان العرب (ع ب س)
(٩) قدور، أحمد محمّد (١٩٩٣م) المدخل إلى فقه اللغة العربية (دار الفكر المعاصر للطباعة والنشر والتوزيع) ١٢٠

الازدواج: ويعني لجوء المُتكلِّم إلى إحداث تغيير في بنية الكلمة لخلق انسجام صوتي مع كلمة أخرى في السياق نفسه، نحو: (لا أَفْعَلُهُ مَا حَيَّ حَيٌّ أَوْ مَاتَ مَيِّتٌ) ^(١) وكلمة (المَيِّت) بالشدة مع الكسر تعني الشَّخص الذي فيه روح ولكن سيموت، قال تعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾ الزمر: ٣٠ ، أما المَيِّت بالسكون هو الذي خرجت روحه ﴿أُجِبُّ أَدْحُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا﴾ الحجرات: ١٢ وبهذا الفرق اللغوي كان ينبغي أن تكون الكلمة (مَيِّت)، لوجود كلمة (مات)، التي تدلّ على أنه مات بالفعل، فهذا الانزياح الصوتي سببه خلق الانسجام الصوتي مع الكلمة المقابلة لها وهي كلمة (حَيٌّ)، يقول (ريفاتير) عالماً لاسلوبيّات: " يدقق مفهوم الانزياح بأنّه يكون خرقاً للقواعد حيناً، ولجوءاً إلى ما ندر من الصيغ حيناً آخر" ^(٢)

ومن الانزياح الصوّتي أيضاً على رأي من ذهب إلى أن كلمة (غُبَيْس) في: (لا أَفْعَلُ كَذَا مَا عَبَا غُبَيْسٌ) ^(٣)، ذكر صاحب المقاييس أنّ الغين والباء أصلٌ صحيح يدلُّ على زمانٍ وفترةٍ فيه. ومن ذلك قولهم: غَبَبَ في الأمر إذا لم يُبَالِغ فيه، كأنه زيدت فترة أو قَعَهَا فيه. وقولهم: "زَوَيْدَ الشَّيْءِ يَغُبُّ"، وذلك أن يُترك إنشاده حتّى يأتي عليه وقت. ويقولون: غَبَبَ الأمرُ، إذا بلغ أجزءه. ولحمٌ غابٌ، إذا لم يُؤكَلْ لَوْقَتِهِ، بل تُرك وقتاً وفترةً. ^(٤)

ويقال للظلام غَبَسَ غُبَيْسٌ أيضاً، وقيل: غَبَا: أظلم، والغُبَيْس من أسماء الليل، وقيل: الغُبَيْس تصغير أغبس مُرَحَّمًا وهو الذئب، و(غبا) أصله (غَبَبَ) فأبدل من أحد حرفي التضعيف الألف، مثل تقصّى وتظنّى، أي ما دام الذئب يأتي الغنم. ^(٥) وقد اشترط الكوفيون لصحة تصغير الترخيم أن يكون المُصغَّر علماً. ^(٦) يقول الرّضوي: " اعلم أنّ مذهب الفراء أنّه لا يصغّر تصغيراً ترخيم إلا العلم، لأنّ ما أتقى منه دليلٌ على ما ألقى؛ لشهرته" ^(٧)، وقد جاءت كلمة (غُبَيْس) مخالفة لرأي هؤلاء النحاة، قال الميداني: "قال بعضهم غُبَيْس تصغير أغبس مُرَحَّمًا، وهو الذئب، و(غَبَا) أصله (غَبَبَ)؛ أي: ما دام الذئب يأتي الغنم غَبَسًا" ^(٨) فأبدل الألف من أحد حرفي التضعيف، أي ما زال الذئب يأتي الغنم غَبَاً.

(١) الميداني، مجمع الأمثال ٢: ١٧٦، الزمخشري، المستقصى في أمثال العرب ٢: ٢٤٨
(٢) المسدي، عبد السلام (د.ت) الاسلوبيّة والأسلوب (الدار العربيّة للكتاب، ط ٣) ٨٢
(٣) العسكري، جمهرة الأمثال ٢: ٢٨٢، البكري، ٥١١، الميداني، مجمع الأمثال ٢: ١٩٠، الزمخشري، المستقصى في أمثال العرب ٢: ٢٥٠
(٤) ابن فارس، مقاييس اللغة (غ ب)
(٥) الميداني، مجمع الأمثال ٢: ١٩٠
(٦) هـ - ١٩٩٨ م) ارتشاف الضرب من لسان العرب (القاهرة: 1418) أبو حيّان، محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيّان أثير الدين الأندلسي
(٧) (القاهرة: مكتبة الخانجي) ١: ٤٠٠، ٧
(٨) الرضوي الاستر ابادي، شرح الرضوي على الكافية ١: ٢٨٣
(٨) الميداني، مجمع الأمثال ٢: ٢٣٩

الإبدال:

يراد بالإبدال: "إقامة حرف مقام حرف إمّا ضرورة وإمّا صنعة واستحسانًا، أو تجعل حرفًا مكان حرف مطلقاً"⁽¹⁾، ولا يكون الإبدال إبدالاً حَقًّا إلا إذا كان بين المُبدَل والمُبدَل منه علاقة صوتيّة كُفْرَب المخرج أو الاشتراك في بعض الصّفات الصوتية كالجهر والهمس والشّدة والرّخاوة، مثل: (لا أَفْعَلُ ذَلِكَ مَا جَبَّحَ ابْنُ أَتَانَ) قاله عدى، يُقَال: جَبَّحُوْجَبَّحَ - بالحاء، والحاء - وابنالأتان: الجحش، أي لا أفعل كذا أبداً.⁽²⁾ والإبدال بين الحاء والحاء لتقارب المخرج، والاتفاق في صفتي الهمس والرّخاوة.⁽³⁾

ويُروى المثل بطريقة أخرى هي: (لا أَفْعَلُ ذَلِكَ مَا جَبَّحَ ابْنُ أَتَانَ)⁽⁴⁾، ولعلّ هذه الرواية أصحّ؛ لأنّ معنى (الجَبْحُ): خَلِيَّةُ العَسَلِ، وهو المَوْضِعُ الَّذِي تَعْسَلُ فِيهِ النُّحْلُ فِي الجَبَلِ، والحاء المُعْجَمَةُ لُغَةً.⁽⁵⁾ وهذه الدّلالة لا علاقة لها لها بالجحش، أمّا معنى (الحبج)؛ فيقال: حَبَّجَ بالعصا يَحْبُجُهَا حَبْجًا: ضربه، مثل حَبَّجَهُ وَهَبَّجَهُ.⁽⁶⁾، والثّاني أقرب لمعنى المثل.

والسّبب في وجود الإبدال في لغة الأمثال إمّا هو لكثرة تنقّل الأمثال على ألسنة النّاس، وهذا التّنقل يجعلها عرضة للتّغيير، والخضوع للهجات العرب؛ ولذات السّبب نجد المثل الواحد يروى بأكثر من رواية، تحمل مترادفات لكلمة واحدة: مثل: (لا أتيك ما حَمَلْتُ عَيْني المَاءِ)، (لا أتيك ما وَسَقْتُ عَيْني المَاءِ)⁽⁷⁾

الأمثال والشعر العربي

للتّغير دوره الواضح في حفظ الأمثال العربيّة، والمساهمة في انتشارها، وتداولها على ألسنة النّاس؛ وقد وظّف الشعراء تلك الأمثال في قصائدهم بما يقوي المعاني ويخدم الأفكار، ويقوي بناء النّصّ الشّعري؛ وذلك باستخدام المثل كما هو إن وافق الوزن والقافية، أو التّغيير في صياغته بما يتناسب مع الوزن والقافية، وهو ما أطلق عليه النّقاد في العصر الحديث النّصّ الشّعريّ.

وقد نجد في البيت الواحد مثليين كما في قول (مُرَرَّد بن العطفاني)⁽⁸⁾ يصف خيل الحرب:

وأحْبِسُهَا ما دَامَ لِلزَّيْتِ عَاصِرٌ وما طَافَ فَوْقَ الأَرْضِ حَافٍ وَنَاعِلٌ
حيث ضمّ الشّطر الأوّل هذا المثل: (ما دام للزّيت عاصر) ⁽¹⁾، وضمّ الشّطر الثّاني هذا المثل: (ما طاف فوق الأرض حافٍ وناعل) ⁽²⁾ دون أيّ تغيير.

(1) ابن فارس، الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها، ٣٣٣
(2) الميداني، مجمع الأمثال ٢: ١٧٥، والطرايبلي، إبراهيم بن علي الأحمد (د.ت) فرائد اللال في مجمع الأمثال، قدم له ووضع فهرسه:
إبراهيم شمس الدين (بيروت: دار الكتب العلميّة) ٢: ١٨٧
(3) سيبويه، الكتاب ٤: ١٩٢
(4) الزمخشري، المستقصى في أمثال العرب ٢: ٢٤٧
(5) ابن منظور، لسان العرب (ج ب ح)
(6) السابق (ح ب ج)
(7) ابن سيده، المختص ٤: ١٧١، الميداني، مجمع الأمثال ٢: ١٦٧، الزمخشري، المستقصى في أمثال العرب ٢: ٢٤٧
(8) الضبي، المفضل بن محمّد بن يعلى (١٩٧٩م) المفضليات، تحقيق: أحمد محمّد شاكر، وعبد السلام هارون (القاهرة، دار المعارف، ط ٦) ١: ٩٨

وقد يحوي الشطر الثاني على المثل كما في قول امرئ القيس: (٣)

أَجَارَتْنا إِنَّ الخُطوبَ تَنوبُ وَاِنِّي مُقِيمٌ مَا أَقامَ عَسِيبُ
والمثل هو: (لا أفعل ذلكم أقام عسيب) (٤) وعسيب اسم جبل لهذيل بعاليّة نجد، وبدل المثل على تميزه بالقوة
والثبات وعدم الزوال.

ومثله قول الأعشى: (٥)

أَلَسْتُ مُنْتَهِيًا عَنْ نَحْتِ أَثَلْتِنَا وَلَسْتُ ضَانِرَهَا مَا أَطَّتِ الإِبِلُ
إذ حوى الشطر الثاني على المثل: (لا أفعل ذلك ما أطت الإبل) (٦) والمعنى: أنت تعبا وحنيئا، كناية عن استمرار
الشئ وثباته، أي: طوال الدهر

ومثل ذلك المثل: (لا أفعله حتى يؤوب المثلّم) الذي نجده في قول أبي الأسود: (٧)

وَأَلَيْتُ لا أَسْعَى إِلى رَبِّ لِقَاحَةٍ أَساومهُ حَتَّى يُووبَ المِثْلَمُ
كما أنّ الشاعر من الممكن أن يكثف دلالات قصيدته باستخدام مجموعة من الأمثال، كما فعل الأخطل في
قصيدته (خفّ القطين) التي يقول فيها لبني مروان: (٨)

لا يَسْمَعُ الصَّوْتِ مُسْتَكًّا مَسامِعُهُ وَلا يَلِينُ لِسُلْطانِ تَهْضَمنا
وما يُلاقونَ فَرِاصاً إِلى نَسَبِ وَلا يَلِينُ لِسُلْطانِ تَهْضَمنا
وَأَقْسَمَ المَجْدُ حَقًّا لا يُحالفُهُم وَلا يَلِينُ لِسُلْطانِ تَهْضَمنا
وَأَقْسَمَ المَجْدُ حَقًّا لا يُحالفُهُم وَلا يَلِينُ لِسُلْطانِ تَهْضَمنا
وَأَقْسَمَ المَجْدُ حَقًّا لا يُحالفُهُم وَلا يَلِينُ لِسُلْطانِ تَهْضَمنا

وكقول الفرزدق:

أَمّا العَدُوُّ فَإِنا لا نَلِينُ لَهُ حَتى يَلِينُ لِضُرْسِ الماضِغِ الحِجْرُ
حيث نجد أربعة أمثال تدور حول معنى استحالة حصول الشئ، وهي:

١- (حَتى يَنْطِقَ الحِجْرُ)

٢- (حَتى يُلاقِي جَدِي الفَرَقْدِ القَمْرُ) وهو نجم إلى جانب القطب يمتنع أن يلتقي بالقمر

٣- (حَتى يُحالفَ بَطْنَ الرّاخَةِ الشَعْرُ)

(١) ابن سيدة، المخصّص ٤: ١٧١، الزمخشري، المستقصى في أمثال العرب ٢: ٢٤٨
(٢) الزمخشري، المستقصى في أمثال العرب ٢: ٢٥٠
(٣) ديوانه (١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م) ضبطه وصحّحه: الأستاذ مصطفى عبد الشافي (بيروت: دار الكتب العلميّة، ط٥) ٢٠
(٤) الأزهرى، تهذيب اللغة (ع س ب)
(٥) ديوان الأعشى الكبير (د.ت.) تحقيق: محمد حسين (مكتبة الآداب بالجماميز - لمطبعة النموذجية) ٦١
(٦) الميداني، مجمع الأمثال ٢: ١٧٠، الزمخشري، المستقصى في أمثال العرب ٢: ٢٤٤
(٧) الميداني، مجمع الأمثال ٢: ١٧٠،
(٨) الثعالبي، عبد الملك بن محمد بن إسماعيل (١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م) خاصّ الخاصّ، تحقيق: د. محمّد زينهم محمّد عرب (القاهرة: الدار الثقافيّة للنشر) ٧٩

٤- (حَتَّى يَلِينَ لِضَرْسِ الْمَاضِغِ الْحَجَزُ).^(١)

ولو رجعنا إلى هذا اللون من الأمثال ومعانيها في معاجم اللغة وكتب الأمثال فلما نجد مثلاً من هذه الأمثال لم يستخدمه الشعراء في قصائدهم؛ لما تحمله هذه الأمثال من خلاصة تجارب الإنسان العربي، ولما لها من دور في تكثيف الدلالة في تلك القصائد.

المبحث الثاني: البنية التركيبية:

نلاحظ التوازي النحوي بين كثير من البنى التركيبية لعبارات الأمثال؛ ويُقصد بالتوازي تكرار الأنماط التركيبية المختلفة في مفرداتها المتوازية مع مكوناتها النحوية، وهذا التكرار النحوي يُطلق عليه (التكرار الجراماتيكي) وهو " نوع من التكرار، ولكنه ينصرف إلى تكرار المباني مع اختلاف العناصر التي يتحقق فيها المبنى"^(٢)؛ إذ تتفق الجمل في التركيب النحوي بغض النظر عن اتفاقها الدلالي. ونجد ظاهرة التوازي أو التكرار النحوي موجودة بصورة مُلفتة للانتباه في الأمثال التأبيدية، مما يجعل هذا اللون من الأمثال وكأنه وحدة إيقاعية واحدة، يجمعها فضاء مُشترك، يتسم بالتماسك والوحدة الموضوعية ومن ذلك:

- لا أفعله ما ← جَمَزَ ابْنُ جَمِيرٍ، سَمَرَ ابْنُ سَمِيرٍ^(٣)
- لا آتيه، لا أفعله ← الفرقدين، القرتين^(٤)
- لا أفعله ما ← عَرَدَ رَاكِبٌ^(٥)، عَرَدَ الْحَمَامِ، سَجَعَ الْحَمَامِ، هَدَّهَ الْحَمَامِ، لَاحَ كَوْكَبٌ، أَضَاءَ الْفَجْرُ^(٦)، أَقَامَ ثَبِيرٌ، ثَبِيرٌ، أَقَامَ عَسِيبٌ^(٧)، ذَرَّ شَارِقٌ^(٨)
- لا أفعال ذلك ما ← أَطَّتِ الْإِبِلُ^(٩)، حَنَّتِ الدَّهْمَاءُ، حَنَّتِ النَّيْبُ^(١٠)، أَحَلَّتِ الْإِبِلُ^(١١)
- لا أفعله حتى ← يُوُوبُ الْمُتَحَلِّلُ، يُوُوبُ الْمُتَلَّمِّ،^(١٢) يَرْجِعُ غُرَابُ نُوحٍ،^(١٣) يَزُولُ غَوَارِضُ، يَرِدُ الضَّبُّ، يَشِيبُ الْغَرَابُ، تَجَزُّ الطَّبَاءُ^(١٤)

(١) الجاحظ، كتاب الحيوان، ٤: ٤١٦

(٢) مصلوح، سعيد (١٤٢٤هـ) في البلاغة العربية والأسلوبيات اللسانية (القاهرة: عالم الكتب) ٢٤٥، ٢٤٦

(٣) الميداني، مجمع الأمثال ٢: ١٨٧

(٤) السيوطي، المزهري في علوم اللغة وأنواعها، ٢: ١٦٤

(٥) ابن سيده، المخصص ٤: ١٧٠، الزمخشري، المستقصى في أمثال العرب ٢: ٢٥٠

(٦) ابن سيده، المخصص ٤: ١٧٠

(٧) الأزهري، تهذيب اللغة (ع س ب)

(٨) الزمخشري، المستقصى في أمثال العرب ٢: ٢٤٨، العسكري، جمهرة الأمثال ٢: ٢٨٢

(٩) الميداني، مجمع الأمثال ٢: ١٧٠، الزمخشري، المستقصى في أمثال العرب ٢: ٢٤٤

(١٠) الميداني، مجمع الأمثال ٢: ١٧٠، الزمخشري، المستقصى في أمثال العرب ٢: ٢٤٧

(١١) ابن سيده، المخصص ٤: ١٧٠

(١٢) ابن سيده، المخصص ٤: ١٧١، الميداني، مجمع الأمثال ٢: ١٨٠

(١٣) الغالي، أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل (١٩٦٥م) ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، تحقيق: محمّد أبو الفضل إبراهيم

(القاهرة: دار المعارف) ٤٠

(١٤) السدوسي، أبو فيد مؤرج بن عمر (١٩٨٣م) كتاب الأمثال، تحقيق: د. رمضان عبد التواب (بيروت: دار النهضة العربية) ٧٤

- حَتَّى يَرْجِعَ، حَتَّى يَجِيءَ ← مَصْفَلُهُ مِنْ سِجِسْتَانٍ، مَصْفَلُهُ مِنْ طَبْرَسْتَانِ. (١)
- لا يكون ذلك حَتَّى يجمع، يُوَلِّفَ بينَ ← الأروى والنعام (٢)، الضَّب والنون (٣)، الماء والنَّار. (٤)
- لا أفعَلُهُ ← أَيْدِ الأبيد، أَيْدِ الأبيدين، عَوْضُ العَائِضِينَ (٥)
- لا أفعَلُهُ ما أَنْ في ← السَّمَاءُ نَجْمًا، (٦) الفُراتُ قَطْرَةٌ (٧)
- لا أفعَلُ ذَلِكَ ما اِخْتَلَفَ ← الأجدان، الجديدان، الصرْفان، العَصْران، الفَتَيان، المَلوان (٨)

ونمطية هذه البنى التركيبية تُشكِّلُ سمة أسلوبية للأمثال التأبديّة؛ إذ نجد التَّغيير في الكلمات الحاملة للمعنى، مع ثبات النمط في كثير من هذه الأمثال. كما نلاحظ اعتماد هذه الأمثال على الجمل البسيطة؛ القائمة على الإسناد في أبسط صورته، وارتبط هذا بما امتازت به الأمثال من الإيجاز القائم على توظيف أقل قدر ممكن من الألفاظ للتعبير عن المعنى المحوري لهذه الأمثال، وهو: استحالة فعل الشيء أو الإتيان به مدى الدهر.

وقد نلاحظ التوازي داخل المثل الواحد، نحو: (لا أفعَلُهُ ما حيَّ حيُّ أو ماتَ مَيِّتٌ) (٩) فالبناء التركيبي يقوم على التوازي بين جملتين مُتطابقتين مطابقة تامّة من ناحية البناء النحوي (فعل لازم في الزمن الماضي + فاعل) يربط بينهما حرف عطف (أو).

حيَّ ← ماتَ

حيُّ ← مَيِّتٌ

وكثير من تلك الأنماط سُبقت فيها (ما) الأبدية ب: (لا أفعَلُهُ) = نفي + الفعل المضارع + الفاعل + المفعول به (ضمير)، والبنية العميقة لهذا التركيب: لا أفعَلُ (أنا) هذا الأمر، ودلالة الفعل الزمنية تتصرف لزمانين (الحاضر والمستقبل) ممّا أدّى إلى تكثيف دلالة الأبدية في هذه التراكيب، ومثل (لا أفعَلُهُ): (لا آتيك).

و(لا) النَّافِيّة إذا دخلت على الفعل المضارع لا تُؤثِّرُ فيه من ناحية الإعراب، ولكنها من ناحية المعنى تنفي وقوع الحدث في المستقبل؛ يقول المبرّد (ت286هـ): " فإذا وقعت على فعل نفته مُستقبلاً" (١٠) والنَّفي من الأساليب اللغوية التي

(١) الجاحظ، الحيوان ٢: ٤١٩، العسكري، جمهرة الأمثال ١: ٣٦١، الثعالبي، ثمار القلوب في المضاف والمنسوب ٤١
(٢) الجاحظ، أبو عثمان عمر بن بحر (١٩٧١م) كتاب الحيوان، وضع حواشيه: محمّد باسل عيون السود (بيروت: دار الكتب العلميّة) ٣: ٢٧٩، الميداني، مجمع الأمثال ٢: ٢٧١، العسكري، جمهرة الأمثال ٢: ١٦٩
(٣) الميداني، مجمع الأمثال ١/٢١٣، والمستقصى ٥٨/٢، الجاحظ، الحيوان ٥: ٢٨٠
(٤) الجاحظ، الحيوان ٥: ٢٧٩
(٥) ابن سيده، المُخصَّص ٤: ١٧٢، السيوطي، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، ٢: ١٦٤
(٦) ابن سيده، المُخصَّص ٤: ١٧١، الميداني، مجمع الأمثال ٢: ١٧٨، الزمخشري، المستقصى في أمثال العرب ٢: ٢٤٦
(٧) ابن سيده، المُخصَّص ٤: ١٧١، الميداني، مجمع الأمثال ٢: ١٨٠
(٨) ابن سيده، المُخصَّص ٤: ١٧٠، السيوطي، المزهر ٢: ١٦٣، الزمخشري، المستقصى في أمثال العرب ٢: ٢٥٠
(٩) الميداني، مجمع الأمثال ٢: ١٧٦
(١٠) المبرّد، أبو العباس محمّد بن يزيد (١٤١٥هـ - ١٩٩٤م) المقتضب، تحقيق: محمّد عبد الخالق عظيمية (مصر، القاهرة: المجلس الأعلى للشؤون الإسلاميّة) ١: ١٨٥

يُخرج فيها المتكلم كلامه من الإيجاب والقبول لنقيضه، بصيغة يستخدمها للوصول إلى مراده؛ مذكورة أو مُقدّرة يدلّ عليها المقام، والأداة المُستعملة في هذه الأساليب (لا)

وتأتي البنية التركيبية للمثل بعد ذلك متصدّرة بـ (ما الأبدية) أو التوقيتية كما أطلق عليها الشّريف الرّضي، وبدخولها على الفعل الماضي تنتقل دلالاته الزمنية من الماضي، وتمتدّ حتّى تشمل الحاضر والمستقبل الممتدّ إلى الأبد، وقد أكّد الرضيّ دلالتها على الاستقبال سواء أكان بعدها ماضي اللفظ أم المعنى. (1)

وتجدر الإشارة إلى أنّ دلالة التأبيد ليست من لوازم (ما) الأبدية، بل ممّا أوجبه السياق، والقرائن المُلازمة؛ أي أنّ التأبيد وصف زائد على النّفي؛ يدلّ على ذلك أنّ بعض الأمثال أعطت نفس الدلالة مع أنّها لم تستخدم (ما) الأبدية، بل جاء عوضاً عنها (حتّى).

و(حتّى) عند النحويين على ثلاثة أوجه: الأوّل: أن تُكوّن جازةً، فتدخّل على الاسم الصّريح الظّاهر؛ فتكوّن بمعنى (إلى) في الدلالة على انتهاء الغاية. وتدخّل على الاسم المؤوّل من (أنّ المضمرّة) وجوباً (ومن الفعل المضارع)؛ وهي في ذلك إما أن تكون بمعنى (إلى)، أو بمعنى (كي التعليلية). والوجه الثاني: أن تُكوّن حرف عطف؛ خلافاً للكوفيّين، وتفيد مُطلق الجمع من غير ترتيب ولا معية؛ على الأصحّ؛ (كألوأ) في ذلك. والوجه الثالث: أن تُكوّن حرف ابتداءً، فتدخّل على الجملة الفعلية؛ المُبدوءة بالفعل الماضي، أو المضارع المرفوع. (2)

وفي الأمثال الدالة على الأبدية جاءت (حتّى) على الوجه الثاني (حرف جرّ) دخلت على الاسم المؤوّل من (أنّ) المضمرّة وجوباً والفعل المضارع، وتكون بمعنى (إلى) الدالة على انتهاء الغاية. نحو: (لا أتيك حتّى يؤوب هبيزة بن سعد) (3) ف(حتّى) حرف غاية ويعدّ مصدر مؤوّل (أنّ يؤوب) و(أنّ) مُقدّرة، ثمّ الفاعل (هبيزة) و(ابن) صفة له، و(سعد) و(سعد) مضاف إليه.

أما: (لا أتيك هبيزة بن سعد) (4)، و(لا أتيك ألوّة أبي هبيزة، أو: ابن هبيزة) (5) و(لا أتيك غنم الفرز)، و(لا أتيك معزى الفرز) (6)، فنتركب من: الفعل المضارع المسبوق بـ (لا) النافية، والمتصل بضمير المفعولية (الكاف) والفاعل مستتر وجوباً، والأسماء (هبيزة، وألوّة، وغنم، ومعزى) أسماء منصوبة، والعرب أقامت هذه الأسماء المنصوبة مقام كلمة (الدّهر) فنصبت هذه الأسماء على الظرف، وهذا منهم اتّساع. قال اللحياني: إنّما نصبوه لأنهم ذهبوا به مذهب الصفات، ومعناه لا أتيك أبداً. (7)

(1) الرضي الاسترأبادي، شرح الرضي على الكافية: ٤٤٠

(2) يابستي، عزيزة فوّال (١٤١٣هـ- ١٩٩٢م) المعجم المُفصل في النحو العربي (بيروت: دار الكتب العلمية) ٤٤٨: ١

(3) الميداني، مجمع الأمثال ٢: ١٦٣

(4) ابن سيده، المُخصّص ٤: ١٧١

(5) ابن سيده، المُخصّص ٤: ١٧١

(6) الميداني، مجمع الأمثال ٢: ١٦٣، الزمخشري، المُستقصى في أمثال العرب ٢: ٢٥١

(7) ابن منظور، لسان العرب (هدب ر)

ومن الأتماط التركيبية:

١- قولهم: (لَا أَفْعَلُهُ عَوْضَ الْعَائِضِينَ)^(١)، (عَوْضَ): ظَرَفٌ لِاسْتِعْرَاقٍ مَا يُسْتَقْبَلُ مِنَ الزَّمَانِ غَالِبًا. وَيُسَمَّى الزَّمَانُ عَوْضًا؛ لِأَنَّهُ كَلَّمَا ذَهَبَتْ مِنْهُ مُدَّةٌ عَوَّضَتْهَا مُدَّةٌ أُخْرَى، وَهُوَ مُلَازِمٌ لِلنَّفْيِ؛ تَقُولُ: هَذَا الشَّيْءُ لَا أَفْعَلُهُ عَوْضَ؛ أَي: لَا يَصْدُرُ مِنِّي فِعْلُهُ فِي جَمِيعِ أَرْمِنَةِ الْمُسْتَقْبَلِ. وَهُوَ مَبْنِيٌّ، فَإِنْ أَصَفْتَهَا عَرَبْتَهُ وَنَصَبْتَهُ عَلَى الظَّرْفِيَّةِ فُقِلَتْ: (لَا أَفْعَلُهُ عَوْضَ الْعَائِضِينَ)، كَمَا تَقُولُ: (دَهْرَ الدَّاهِرِينَ)^(٢).
وَقَدْ يَرِدُ (عَوْضَ) لِلْمَاضِي فَيَكُونُ بِمَعْنَى: قَطُّ.

وَمِثْلُ (عَوْضَ) فِي اسْتِعْرَاقِ الْمُسْتَقْبَلِ (أَبَدًا) فِي نَحْوِ: (لَا أَفْعَلُهُ أَبَدًا)، وَهِيَ ظَرَفٌ لِاسْتِعْرَاقٍ مَا يُسْتَقْبَلُ مِنَ الزَّمَانِ، إِلَّا أَنَّهَا لَا تَحْتَصُّ بِالنَّفْيِ، وَلَا تُبْنَى؛ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: (خَلِدِينَ فِيهَا أَبَدًا). (الجن: ٢٣)^(٣)
(الجن: ٢٣)^(٣)

٢- (لَا أَفْعَلُهَا الْبَيَّةَ) وَالبَيَّةُ: اسْمُ الْمَرْءِ مِنْ: بَيَّتْ، وَهُوَ مِنَ الْأَسَالِيبِ الْمُسْتَعْمَلَةِ لِلدَّلَالَةِ عَلَى اسْتِمْرَارِيَّةِ النَفْيِ، وَالنَّبَاءِ وَالتَّأَمُّ لُهُ وَجِهَانٍ وَأَصْلَانِ: أَحَدُهُمَا الْقَطْعُ، وَالْأُخْرَى صَرْبٌ مِنَ اللَّيَاسِ. فَأَمَّا الْأَوَّلُ فَقَالُوا: أُنْبِتُ الْقَطْعَ الْمُسْتَأْصِلَ، يُقَالُ: بَنَيْتُ الْحَبْلَ وَأَبْنَيْتُ. وَيُقَالُ: أُعْطِيْتُهُ هَذِهِ الْقَطِيعَةَ بَنَاءً بَنَاءً. " وَالبَيَّةُ " اشْتِقَاقُهُ مِنَ الْقَطْعِ، غَيْرَ أَنَّهُ مُسْتَعْمَلٌ فِي كُلِّ أَمْرٍ يُمَضَى وَلَا يُرْجَعُ فِيهِ^(٤) وَيُقَالُ: انْقَطَعَ فُلَانٌ عَنِ فُلَانٍ فَأَنْبَتَ وَأَنْقَبَضَ؛ يُقَالُ: لَا أَفْعَلُهَا الْبَيَّةَ وَبَيَّةٌ لِكُلِّ أَمْرٍ لَا رَجْعَةَ فِيهِ، وَمَعْنَى الْبَيَّةِ الْقَطْعُ، أَيِ اقْطَعْ فِي هَذَا الْأَمْرِ الْقَطْعَةَ الْوَاحِدَةَ لَا ثَانِيَةَ لَهَا^(٥) وَقَوْلُهُمْ: تَصَدَّقْ فُلَانٌ صَدَقَةً بَنَاتًا وَبَيَّةً بَنَلَةً إِذَا قَطَعَهَا الْمُتَصَدِّقُ بِهَا مِنْ مَالِهِ، فَهِيَ بَانِنَةٌ مِنْ صَاحِبِهَا^(٦).

قال سيبويه: وقالوا قَعَدَ الْبَيَّةَ مصدرٌ مُؤَكَّدٌ، وَلَا يُسْتَعْمَلُ إِلَّا بِالْأَلْفِ وَاللَّامِ؛ فمذهب سيبويه وأصحابه أن البَيَّةَ لَا تَكُونُ إِلَّا مَعْرِفَةَ (البَيَّةَ لَا غَيْرَ)، وَإِنَّمَا أَجَارَ تَنْكِيرُهُ الْفِرَاءَ وَحَدَهُ، وَهُوَ كَوَفِيٍّ. وَ(البَيَّةَ) مَصْدَرٌ مُعْرَفٌ بِ (أَلِ)، وَ(بَيَّةً) مَصْدَرٌ نَكْرَةٌ. وَهُوَ مَصْدَرٌ مَنْصُوبٌ عَلَى الْمَصْدَرِيَّةِ بِفِعْلِ مَقْدَرٍ أَيِ (بَيَّتَ) بِمَعْنَى: قَطَعَ، ثُمَّ أَدخَلَ الْأَلْفَ وَاللَّامَ لِلجِنْسِ وَالتَّأَمُّ لِلْمَبَالِغَةِ. وَالْمَسْمُوعُ قَطَعَ هَمْزَتَهُ عَلَى غَيْرِ الْقِيَاسِ^(٧).
القياس^(٧).

(١) الزمخشري، المستقصى في أمثال العرب ٢: ٢٤٤

(٢) السبوي، جلال الدين عبد الرحمن (١٩٧١م) همع الهوامع في شرح جمع الجوامع (لبنان- بيروت: دار الكتب العلمية) ٢: ١٥٧

(٣) ابن هشام، (١٩٨٥م) معنى اللبيب عن كتب الأعراب، تحقيق: د. مازن المبارك، وراجعته: محمد علي حامد (بيروت: دار الكتب

العلمية) ١: ١٣٢

(٤) ابن فارس، مقاييس اللغة (ب ت ت)

(٥) الفيروزآبادي، القاموس المحيط (ب ت ت)

(٦) ابن منظور، لسان العرب (ب ت ت)

(٧) أبو البقاء الكفوي، الكليات، معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، ٢٤٦

وقال الخليل بن أحمد: الأمور على ثلاثة أنحاء، يعني على ثلاثة أوجه: شيء يكون البتة، وشيء لا يكون البتة، وشيء قد يكون وقد لا يكون. فأمّا ما لا يكون، فما مضى من الدهر لا يرجع؛ وأمّا ما يكون البتة، فالقيامه تكون لا محالة؛ وأمّا شيء قد يكون وقد لا يكون، فمثل قد يمرض وقد يصح.^(١)
وجاء في الحديث دون نفي، عن ابن عباس، أنّ النبي صلى الله عليه وسلم قال: "من قبض يتيمًا من بين المسلمين إلى طعامه وشرابه أدخله الله الجنة البتة"^(٢)

وجاء هذا المثل وسابقه من الأمثال التامة في بنيتها التركيبية؛ إذ لا يحيلان إلى أمر خارجهما لا بضمير ولا بإشارة، ومثلهما: (لا أفعله خيرٍ دهر)^(٣)، في حين جاءت بعض التراكيب مجبلة إلى شيء خارجها؛ إذ لا يكتمل معناها إلا بمعرفته إما بضمير أو إشارة أو اسم ما، وهو ما يشير إلى ارتباط المثل بالاستعمال الأول له، والمربط بموقف معلوم للسامع؛ نحو: (لا أفعله حتى يؤب المنخل)^(٤) و(لا أفعله حتى يؤوب المنمل)^(٥)

ونلاحظ أنّ تركيب الإضافة قد شاع في هذا اللون من الأمثال إذ بُنيت بعض التراكيب عليه، مثل:

- لا أفعله، لا أتيك—سِنَّ الجسَل، سيني جسَل، سَمير الليلي، أُخرى الليلي، وأُخرى المنون، آخر الدهر، يَد الدهر، جَدَا الدهر، قفالدهر، دهر الداهرين، حَيْرِي الدهر، حتى تَبَيَضَ جُونُهُ القار، أَبَدًا الأبدية، وَأَبَدَ الأبيد، وَأَبَدَ الأبدِين والأبدِين، سَجِيسًا لأوجَس، وعوض العائضين، معزى الفزر.

وتقوم فكرة الإضافة عادة على الجمع بين لفظين ينتج منهما مرُكَّب يحمل دلالة جديدة، وعلاقة المُضَاف والمُضَاف إليه من أكثر العلاقات التَّركِيبِيَّة التي تظهر في هذه الأمثال، بل أنّ عددًا لا بأس به من أمثال العرب قد جاءت وفق هذه الصيغة التَّركِيبِيَّة^(٦) وهو ما أسماه علماء اللُّغة المحدثون بـ (المزج المفهومي)، ويقوم على الجمع بين مجالين مُختلفين لإنتاج مجال ثالث، وهي عملية تلقائيَّة يقوم بها كل فرد دون أن يشعر بها. فمثلًا كلمة (سِنَّ) لها دلالة عامَّة؛ إذ يُطلق على سن الإنسان والحيوان، والجسَل وهو ولد الضبِّ، وبالإضافة خصَّصت الدلالة، وتحدَّد المجال الذي ينتمي إليه اللَّفظ.

كما نلاحظ في هذه التراكيب المُثنَّيات المُتلازمة وهي مُثنَّيات لا تُفرد ولا تُجمع، وقد أشار إليها عبد الواحد اللغويّ وأطلق عليها اسم المثنى الحقيقي "وهو ما إذا أُفرد لم يُفد المعنى الموضوع له في التَّنْبِيَّة ولذلك لا يصح إطلاقه

(١) الأزهرى، تهذيب اللغة، الجوهري، تاج اللغة وصحاح العربية، ابن منظور، لسان العرب، الزبيدي، تاج العروس (ب ت ت)
(٢) أخرجه الترمذى في ٢٨-كتاب البرِّ والصلة: ١٤- باب ما جاء في رحمة اليتيم وكفالاته: حديث رقم: ١٩١٧. وفيه: حنش، قال الترمذى: ضعيف عند أهل الحديث.

(٣) ابن سيده، المُخصَّص: ٤: ١٧٠، السيوطي، المزهَر في علوم اللغة وأنواعها، ٢: ١٦٤

(٤) ابن سيده، المُخصَّص: ٤: ١٧١، الميداني، مجمع الأمثال ٢: ١٨٠

(٥) الميداني، مجمع الأمثال: ١: ٧٩

(٦) خفاجي، عبد الله عبد الجبار محمَّد عبد المنعم (د.ت) قصة الأدب في الحجاز (مصر- القاهرة: مكتبة الكليات الأزهرية) ص ٢٦٨

على أحد المسميين؛ مثاله: (البحران) لبحر القلزم وبحر الروم^(١) وهذه الظاهرة اللغوية الخاصة تشير بقوة إلى ميل العربية إلى الاختصار، والتفنن في استخدام الكنايات مما له من أثر في النفوس، ومساعدة على حفظ الأمثال؛ ومن ذلك:

لا أفعله ما اختلف ← الأجدان، الجديدان، الصرّفان، العصران، الفتيان، الملوان^(٢)

لا آتيناك حتى ← يؤوب القارطان^(٣)

لا آتينا، أو لا أفعله ← الفرقدين، القرّتين

لا أفعله ما ← ما لاح النيران^(٤)

والجدول التالي يبيّن دلالة تلك المثنيات:

المثني	الدلالة
الجديدان	الليل والنهار
الأجدان	الليل والنهار
الصرّفان	الليل والنهار
العصران	الليل والنهار، أو: الغداة والعشي
الفتيان	الليل والنهار
الفرقدان	نجمان في السماء لا يعرّبان (النجم القطبي ونجم آخر بقربه مماثل له أصغر منه)، وقيل: كوكبان من نبات نعش الصغرى
القرّتان	الغداة والعشي
الملوان	الليل والنهار

(١) أبو الطيب اللغوي، عبد الواحد (١٣٨٠-١٩٦٠م) **المثني**، حقه وشرحه: عزّ الدين التنوخي (سوريا، دمشق: مطبوعات المجمع العلمي العربي) ص ٣

(٢) ابن سيده، المخصّص ٤: ١٧٠، السيوطي، المذهر ٢: ١٦٣، الزمخشري، المستقصى في أمثال العرب ٢: ٢٥٠

(٣) الميداني، **مجمع الأمثال** ٢: ١٦٣

(٤) الهمداني، **كتاب الألفاظ الكتابية** ص ١٨٥

النيران الشمس والقمر

ومن المتلازمات أيضاً (الأزلم الجذع) إذ يدل هذا التركيب المكوّن من (الأزلم) و(الجذع) معاً على معنى الدهر، فالزلم والزلم: أقدح يُستقسم به، وكانت قداحاً يُحتكم بها في الجاهليّة، فإذا أمرت انتمروا لها، وإذا نهت انتهوا، فحظر ذلك الإسلام. وجمع زلم أزلام^(١). الجذع: الصغير السن من الإبل وغيره.^(٢) فالدلالة على الدهر جاءت من الجمع بين الكلمتين.

ومما جاء على لفظ الجمع، ولا مفرد له من لفظه: (لا أفعل ذلك ما لأت الفور بأذنايها)^(٣)، والفور: الطّباء، لا واحد لها من لفظها، ويروى: العفر وهي الطّباء أيضاً.^(٤)

الحذف: لا تخفى القيمة الجماليّة للحذف، وما فيه من إبراز للمعنى بلفظٍ موجز كثيف في معناه، فالبنية السطحيّة للمثل في صورته الخارجيّة إنّما تُفسّره بنية عميقة تشمل تلك المحذوفات، والحذف من السنن اللغويّة التي تلجأ إليها اللغة العربيّة رغبة في الإيجاز البليغ، والاقتصاد اللغويّ في الكلام، والاختصار شريطة أن يكون المعنى واضحاً لدى المتلقّي، ولا يوجد ثمة غموض أو إبهام؛ يقول الجرجاني: "ترك الذكر أفصح من الذكر، والصمت عن الإفادة أزيد للإفادة، وتجذك أنطق ما تكون إذا لم تنطق، وأتم ما تكون بياناً إذا لم تُبَيّن"^(٥)، بل نجد الحذف يشغل ذهن المتلقّي في محاولة تقدير المحذوف مستعيناً بالقرائن المعينة لفظيّة وغير لفظيّة؛ إذ لا حذف بلا قرينة مقالية يحددها السياق اللغويّ، أو حالية يحددها الحال، أو صناعيّة تحددها قواعد اللغة. كما أنّه كلما قلّت الوحدات الكلاميّة كلّما ساهم ذلك في حفظ المثل وتناقله واستمراره.

ومن طرق الحذف في هذا اللون من الأمثال: (لا أكلمه القارظين)، و(لا آتيه الفرقدين) ناب اسم العين عن اسم الزمان، فأعرب مفعولاً فيه، لأن أصل الكلام والذي يُمثل البنية العميقة في المثل الأول: لا أكلمه مدّة غيبة القارظين، فحذف لفظ (مدّة) وأنيب عنه بلفظ (غيبة) ثم حذف (غيبة) وأنيب عنه بلفظ (القارظين) وأصله في المثل الثاني قبل التحوّل إلى البنية السطحيّة: لا آتيه مدّة بقاء الفرقدين، ثم حدث له ما حدث للمثل السابق من الحذف والإنابة^(٦)

(١) ابن دريد، جمهرة اللغة، ابن منظور، لسان العرب (ز ل م)

(٢) ابن منظور، لسان العرب (ج ذ ع)

(٣) ابن سيّدة، المُخصّص ٤: ١٧٠، الميداني، **مجمع الأمثال** ٢: ١٧٦ الزمخشري، المُستقصى في أمثال العرب ٢٥٠: ٢، العسكري، **جمهرة الأمثال** ٢: ٢٨١

(٤) الميداني، **مجمع الأمثال** ٢: ١٧٦

(٥) الجرجاني، عبد القاهر، **دلائل الإعجاز**، تحقيق: رضوان الداية وفايز الداية (دمشق: دار الفكر، ٢٠٠٧م) ١٧٠

(٦) الأشموني، أبو الحسن علي بن محمّد بن عيسى (١٤١٩هـ - ١٩٩٨م) **شرح الأشموني على ألفية ابن مالك** (بيروت: لبنان، دار الكتب العلميّة) ١: ٤٩٠

وقد أشار ابن مالك إلى استعمال أسماء الأعيان ظروفًا، وقد مر مضافًا إليه محذوفًا، يقول: "وجُعِلت أيضًا أسماء الأعيان ظروفًا كقولهم: (لا أفعل ذلك معزى الفزر)^(١)، و(لا أكلم زيدًا القارظين)، و(لا أسالم عمرا هبيرة بن سعد). ومن كلام العرب الفصيح (لأفعلن ذلك الشمس والقمر) أي مدة طلوعهما. و(لا أكلم فلانًا الفرقدين). فينصبون هذا وأشباهه نصب الظروف، والتقدير: لا أفعل ذلك مدة فرقة غم الفزر، ومدة مغيب القارظين، ومدة مغيب هبيرة بن سعد، ولأفعلن ذلك مدة بقاء الشمس والقمر، أو مدة طلوعهما، وهذا سبيل التوقيت ب (الفرقدين) وغيرهما.^(٢)، وهذا اللون من الحذف من أبرز الظواهر الموجودة في هذا اللون من الأمثال.

هذا ويُعد الحذف عملية لغوية مرهونة بفعل الاختيار عند الباحث، وبمعطيات الظروف المكتنفة بقطيبي الحوار النفاهي (الباتِّ والمتلقِّي)^(٣)

التقديم والتأخير: العدول عن النمط التركيبي للأمثال العربية بتقديم بعض عناصرها يُكسب المُتقدِّم وظيفة دلالية ممَّا يجعله محور المعنى، ومركز الدلالة، ويجعل العناصر الأخرى مكملة في تكثيف الدلالة؛ وهذا العدول من أبرز الظواهر التركيبية في هذه الأمثال، إذ تعمل على إثارة المتلقِّي، ولفت نظره إلى المعنى المُراد من النمط البنائي، وقد اقتصر التقديم والتأخير على تقديم الجار والمجرور، وتقديم المفعول به على الفاعل.

ومن أمثلة تقديم الجار والمجرور:

- (لا أفعله ما أن في السماء نجما)^(٤) ما + حرف ناسخ + شبه جملة + اسم
- (لا أفعلهما أن في الفرات قطرة)^(٥) ما + حرف ناسخ + شبه جملة + اسم

والبنية العميقة للمثلين: ما ثبت أن نجم في السماء، وما ثبت أن قطرة في الفرات.

مع أن تقدّم شبه الجملة هنا واجب، لأنّ المبتدأ نكرة، ولا مسوغ للابتداء بالنكرة، فكان التقديم منسجماً مع القاعدة النحوية، لكنّ منشئ المثل كان بإمكانه أن يلجأ إلى نمطٍ تركيبى آخر، كأن يقول: ما وجد نجم في السماء، وما وجدت قطرة في الفرات؛ والفرق بينهما كبير لأنّ الجملة الفعلية تفرن الحدث بزمن مقيّد، بخلاف الجملة الاسمية التي تحمل معنى الثبات والديمومة، وهذه من ميزات اللغة العربية إذ يتجرّد الخبر من الزمان ف" الجملة التي يُراد فيها التّنصيص على معنى الزّمن المعين ماضياً أو حاضراً أو مستقبلاً أو مطلوباً فيه إنشاء الفعل، والجملة التي لا غرض فيها للتّنصيص على معنى زمن معيّن، وإنّما المقصود فيها إثبات النسبة بين طرفي الإسناد مطلقة من الزّمن مُراداً بها معنى

(١) الميداني، مجمع الأمثال ٢: ١٦٣

(٢) ابن مالك، أبو عبد الله جمال الدين محمد بن عبد الله (٩٨٢م) شرح الكافية الشافية، تحقيق: د. عبد المنعم أحمد هريدي (مكة: جامعة أم القرى) ٢: ٦٨٦

(٣) نزهي، دلخوش جار الله حسين (٢٠٠٤م) البحث الدلالي في كتاب سيبويه (العراق: مطبعة رون) ٣٧١

(٤) ابن سيده، المُخصّص ٤: ١٧١، الميداني، مجمع الأمثال ٢: ١٧٨، الزمخشري، المُستقصى في أمثال العرب ٢: ٢٤٦

(٥) ابن سيده، المُخصّص ٤: ١٧١، الميداني، مجمع الأمثال ٢: ١٨٠

التبوت تارة، ومعنى الحدوث والتجدد تارة أخرى" (١) فالمراد هنا وهو المرتبط بالمعزى من المثل وهو استحالة الفعل، هذا إضافة لما في التقديم والتأخير من إثارة المتلقي وشحذ فكره.

وقد جاء المثل الأول برواية أخرى، وهي: (ما عَنَّ في السماء نَجْمٌ) (٢) برفع (نجم) والمعنى: ما عرض أو ظهر، ويجوز نصب (نجم) بجعل (عَنَّ) بمعنى (أَنَّ) بإبدال همزتها عيناً وهي لغة تميم. (٣) ومثل هذا الفصل بالجار والجرور بين الفعل وفاعله في: (ما حَجَّ لله راکبٌ) (٤)

وممَّا قَدِّم فيه المفعول على الفاعل: (لا أفعَلُهُ ما دعا الله داعٍ) (٥)، تقدَّم الفاعل (داعٍ) على المفعول به لفظ الجلالة، الجلالة، والتقديم هنا جائز، وتقدَّم المفعول به لأنَّه محور المعنى.

التضاد: (Antonymy)

ويعني المُقابلة بين لفظين مختلفين، وهو مُلمَّح طبيعيّ ومُطرَّد في اللّغة، ويمكن تحديده بدقّة، وبشكل واضح في كلّ اللّغات. (٦) ووجود التّضاد في الأمثال يخلق نوعاً من التّوتر والتّساقط، فتنبثق عن ذلك دلالات واسعة، ويفتح آفاق الإيحاء والخيال. (٧) والتّضاد من البنى الأسلوبية التي تكثّف الدلالة لما له من دورٍ في خلق لونٍ من التّناسب الصوتي والدلالي بين التّنائيات المتضادة.

والمقصود بالتّضاد هنا التّضاد المتّصل بالألفاظ؛ وهو دلالة لفظين مُختلفين على معنيين متضادين، فنجد التّضاد الحادّ بين لفظتي (السّماء) و(الأرض) في: (حتّى تَقَع السّماءُ على الأرض)، فالسّماء في علوها لا يمكن أن تقع على الأرض في دنوها، وهنا يظهر جمال التّضاد فكلمة (السّماء) ظهر معناها واضحاً جليّاً حين وضعت بجانب كلمة (الأرض)، ومثلها: (لا أكلمك أو تنطبق الحُضراء على الغُبراء)، والمراد بالخضراء السّماء، والغُبراء: الأرض وسُمّيت السماء خضراء والبحر أخضر لألوانهما؛ (٨) من باب تسمية الشّيء باسم لونه.

ومن التّضاد الحادّ أيضاً: (حتّى يُجمَع بينَ الماءِ والنّارِ) (٩) ف (الماء) ضدّ (النّار) واتّضحت الضدّيّة بين الكلمتين حين جُمع بينهما في هذا المثل، والصّورة المُتخيّلة لاجتماعهما هو انطفاء النّار، لذا لا يمكن الجمع بينهما، ومن التّضاد أيضاً: (ما طَافَ فَوْقَ الأَرْضِ حَافٍ وَنَاعِلٌ) (١٠)، ف (حافٍ) ضدها (ناعلٍ)، وكلّ من يطوف حول الأرض من إنسان

(١) د. أحمد عبد الستار الجوارى (١٩٨٧م) نحو المعاني (بغداد: مطبعة المجمع العلمي) ٨٤

(٢) ابن سيده، المُخصّص ٤: ١٧١، ٢٤٦ الميداني، مجمع الأمثال ٢: ١٧٨

(٣) ابن يعيش، موفّق الدين أبو البقاء يعيش بن علي (١٩٧١م) شرح المفصل للزمخشري، قدّم له ووضع هوامشه وفهارسه: إميل بديع يعقوب (دار الكتب العلميّة: لبنان- بيروت) ٥: ٩٧

(٤) ابن سيده، المُخصّص ٤: ١٧٠

(٥) ابن سيده، المُخصّص ٤: ١٧٠، الزمخشري، المستقصى في أمثال العرب، ٢: ٢٤٨

(٦) بالمر (١٩٩٥م) علم الدلالة (إطار جديد) ترجمة: د. صبري إبراهيم (دار المعرفة الجامعيّة: مصر- الإسكندرية) ١٢٢

(٧) حمدان، الأسس الجماليّة للإيقاع البلاغي ص ١٤٧

(٨) ابن دريد، جمهرة اللغة (خ رض)

(٩) الجاحظ، الحيوان ٥: ٢٧٩

(١٠) الزمخشري، المستقصى في أمثال العرب ٢: ٢٥٠

وغيره لا يخرج عن هذين الصّدين. والتّضاد الدائري بين الليل والنهار لتعاقبهما في: (لا أفعلُهُ ما خوى الليل والنهار)⁽¹⁾؛ فهما متعاقبان ولا يلتقيان معاً أبداً.

كما ظهر التّضاد في (لا يكون ذلك حتّى يُجمَع بين الضّبّ والنّون)⁽²⁾ ففي الحقيقة لا تضاد بين كلمتي (الضّبّ) و(النون) فهما ينتميان إلى حقل الحيوانات، ولكن التّضاد يظهر من الجمع بينهما، فالضّبّ حيوان بريّ يعيش على اليابسة، والمعروف عنه أيضاً أنّه لا يشرب الماء ولا يبحث عنه، بينما (النّون) وهو الحوت حيوان بحريّ يعيش في الماء، وبالتالي لا يمكن الجمع بينهما في مكان واحد، وهنا يظهر جمال التّضاد الذي يبعث على تكوين صورة متخيلة لكلّ من الضّبّ والحوت،

وما كانت لتكون لولا الجمع بين الكلمتين في هذا المثل. ومثله: (حتى يؤلف بين الضّبّ والنّون)⁽³⁾، ومثله أيضاً أيضاً: (حتّى يُجمَع بيّن الضّفدع والضّبّ)⁽⁴⁾ فالضّفدع برمائيّ يعيش في الماء واليابس، والضّبّ يعيش في البر والصّحراء، وكذا: (لا يكون ذلك حتّى يجمع بين الأروى والنعام)⁽⁵⁾ والأروى وهي أنثى الوعل، ولا يوجد تضاد لفظي لفظي بينهما وبين (النعام) فهما من الحيوانات، ولكن التّضاد بينهما يعود إلى طبيعة كلّ منهما فالأوّل يعيش في الجبال الوعرة، والثّاني لا يعيش إلا في السهول.

ونجد التّضاد على درجات فالجمع بين (الضّبّ) و(النّون) أقوى من الجمع بين (الأروى) و(النعام) لاختلاف البيئة ما بين اليابس والماء.

ويظهر التّضاد أيضاً بين تركيبين في: (لا أفعلُهُ ما حيّ حيّ أو مات ميت)⁽⁶⁾ وأوّل ملح بيانّي يطالعنا الطباق بين الفعلين (حيّ) و(مات) والفاعلين (حيّ) و(ميت)، وهذه هي الحياة كلّها ما بين حياة وموت، فهما مستمران مدى الدهر، ف (حيّ حيّ) جملة فعلية من فعلٍ وفاعل، تتضح دلالتها إذا وضعت إزاء جملة (مات ميت)، وبذا تخرج الصّورة من إطار الطباق الخاصّ إلى الإطار العام، ليشمل الأمر كلّ شيء، وهو ما أطلق عليه علماء البلاغة المُقابلة، وهذا التشكيل الصّوتي من التقابل يُساهم في وصول المعنى إلى المتلقّي، ويخلق لديه شعوراً بجمال المثل؛ إذ بضدّها تتميز الأشياء؛ فالمقابلة هنا عمّت الصّورة.

وعلى هذا فقد وظّف مبدع هذه الأمثال هذه الثنائيات بما يتناسب مع فكرة الاستحالة؛ فاستحالة المجيء أو الفعل كاستحالة الجمع بين هذه المتناقرات في آنٍ واحد.

(1) السيوطي، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، ٢: ١٦٤

(2) الجاحظ، الحيوان ٥: ٢٨٠

(3) الميداني، مجمع الأمثال ١/٢١٣، والمستقصى ٥٨/٢، الجاحظ، الحيوان ٥: ٢٨٠

(4) الجاحظ، الحيوان ٥: ٢٨٠

(5) الجاحظ، كتاب الحيوان، ٣: ٢٧٩، الميداني، مجمع الأمثال ٢: ٢٧١، العسكري، جمهرة الأمثال ٢: ١٦٩

(6) الميداني، مجمع الأمثال ٢: ١٧٦

المبحث الثالث: البنية الدلالية

بلغ عدد الأمثال التأبيدية مئة وأربعة أمثال، هي:

م	الأمثال	م	الأمثال
١.	لَا آتِيكَ حَتَّى يُؤُوبَ الْقَارِظَانِ	٥٣.	لَا أَفْعَلُ ذَلِكَ حَتَّى يَرْجِعَ السَّهْمُ إِلَى فَوْقِهِ
٢.	وَلَا أَفْعَلُهُ حَتَّى يُؤُوبَ الْمَنْخَلِ	٥٤.	لَا أَفْعَلُهُ حَتَّى تَرْجِعَ ضَالَّةُ غَطْفَانَ
٣.	لَا أَفْعَلُ كَذَا حَتَّى يُؤُوبَ الْمُثَلَّمِ	٥٥.	يَرْجِعُ غُرَابُ نُوْحٍ
٤.	لَا آتِيكَ حَتَّى يُؤُوبَ هَبِيرَةَ بِنِ سَعْدِ	٥٦.	حَتَّى يَرْجِعَ مَصْفَلَةٌ مِنْ سِجِسْتَانَ
٥.	لَا أَفْعَلُهُ أُخْرَى اللَّيَالِي	٥٧.	حَتَّى يَرْجِعَ مَصْفَلَةٌ مِنْ طَبْرِسْتَانَ
٦.	لَا أَفْعَلُهُ أُخْرَى الْمُنُونِ	٥٨.	وَمَارَسَسْبِيرٌ وَجَزَاءُ مَكَانَهُمَا
٧.	لَا أَفْعَلُهُ أَبَدًا الْأَبَدِيَّةِ	٥٩.	لَا أَفْعَلُهُ مَا أُرَزَمَتْ أُمُّ حَائِلِ
٨.	لَا أَفْعَلُهُ أَبَدَ الْأَبِيدِ	٦٠.	لَا أَفْعَلُهُ سَجِيسَ اللَّيَالِي
٩.	لَا أَفْعَلُهُ أَبَدَ الْأَبِيدِينَ	٦١.	لَا آتِيكَ سَجِيسُ عَجَبِينَ
١٠.	لَا أَفْعَلُهُ مَا أْبَسَ عَبْدٌ بِنَاقَةٍ.	٦٢.	لَا آتِيكَ سَجِيسَ غَبِيْسِ
١١.	لَا آتِيكَ الْأَزْلَمَ الْجَذَعِ.	٦٣.	لَا أَفْعَلُهُ سَجِيسَ الْأَوْجَسِ
١٢.	لَا أَفْعَلُ ذَلِكَ مَا أَطَّتِ الْإِبِلُ	٦٤.	وَمَا سَجَعَ الْحَمَامِ
١٣.	حَتَّى يُولَفَ بَيْنَ الضَّبِّ وَالنُّونِ	٦٥.	لَا أَفْعَلُهُ مَا أَنَّ السَّمَاءَ سَمَاءً
١٤.	لَا آتِيكَ أَلْوَةَ بَنِّ هُبَيْرَةَ	٦٦.	لَا أَفْعَلُهُ مَا أَنَّ فِي السَّمَاءِ نَجْمًا
١٥.	لَا أَفْعَلُهُ أَلْبَيْتَةَ	٦٧.	لَا أَفْعَلُهُ مَا سَمَرَ ابْنُ سَمِيرِ
١٦.	مَا بَلَّ بَحْرٌ صُوفَةَ	٦٨.	لَا أَفْعَلُهُ مَا سَمَرَ بِنَا سَمِيرِ
١٧.	لَا أَفْعَلُهُ حَتَّى تَبْيِضَ جَوْنَةُ الْقَارِ	٦٩.	لَا آتِيكَ السَّمَرِ وَالْقَمَرِ
١٨.	حَتَّى يَبْيِضَ الْقَارِ	٧٠.	لَا أَفْعَلُهُ سَمِيرِ اللَّيَالِي
١٩.	حَتَّى يَجِيءَ مَصْفَلَةٌ مِنْ طَبْرِسْتَانَ	٧١.	لَا آتِيكَ سِنَّ الْحِجْلِ لَا آتِيكَ سِنِي حِجْلِي

٢٠	لا أَفْعَلُ ذَلِكَ مَا جَبَحَ ابْنُ أَتَانٍ	٧٢.	لا أرهاها سِنَّ الحِسلِ
٢١	لا أَتِيكَ جِدَا الدَّهْرَ هَبِيرَةَ	٧٣.	لا أَفْعَلُهُ حَتَّى يَشِيْبَ الغراب
٢٢	لَا أَفْعَلُهُ مَا جَمَرَ ابْنُ جُمَيْرٍ	٧٤.	لا أَكْلِمُكَ أَوْ تَنْطَبِقَ الخَضِرَاءُ عَلَى العَبْرَاءِ
٢٣	لَا أَفْعَلُهُ مَا جَمَرَ ابْنُ جُمَيْرٍ	٧٥.	ما طَافَتْ فَوْقَ الأَرْضِ حَافُونَاعِلٌ
٢٤	لا أَفْعَلُهُ مَا جَمَرًا ابْنُ جُمَيْرٍ	٧٦.	وما عَنِّي فِي السَّمَاءِ نَجْمٌ
٢٥	لا يَكُونُ ذَلِكَ حَتَّى يَجْمَعَ بَيْنَ الأرْوَى والنعام حَتَّى يُجْمَعَ بَيْنَ الضَّفَدَعِ والضَّبِّ	٧٧.	عوض العائضين.
٢٦	حتى يجمع بين الماء والنار	٧٨.	لا أَفْعَلُ كَذَا مَا عَبَا عُيَيْسٌ
٢٧	وما حَجَّ لَهِ رَاكِبٌ	٧٩.	لا أَفْعَلُهُ ما عَرَدَ رَاكِبٌ
٢٨	وما أَحَلَّتْ الإِبِلُ	٨٠.	لا أَفْعَلُهُ ما عَرَدَ الحَمَامُ
٢٩	حَتَّى يُحَالِفَ بَطْنَ الرَاحَةِ الشَعْرُ	٨١.	لا أَتِيكَ غَنَمَ الفُوزِ
٣٠	لا أَتِيكَ ما حَمَلَتْ عَيْنِي المَاءُ	٨٢.	وما أَن فِي الفُرَاتِ قَطْرَةَ
٣١	وما حننت الدهماء	٨٣.	لا أَتِيَهُ الفِرْقَدَيْنِ
٣٢	حتى يَجِنَّ الضَّبُّ فِي أثر الإِبِلِ الصادرة	٨٤.	لا أَفْعَلُهُ القَرَتَيْنِ
٣٣	لا أَفْعَلُهُ ما حَلَبَ حَالِبٌ أَضْرَعُ الدَّهْرُ	٨٥.	إِذَا ما القارِظُ العَنْزِيُّ أبا
٣٤	لا أَفْعَلُهُ ما حَنَّتِ النَّيْبُ	٨٦.	أَتِيكَ القارِظُ العَنْزِيُّ
٣٥	لا أَفْعَلُهُ حَيْرِي دَهْرٌ	٨٧.	لا أَكْلِمُهُ القارِظَيْنِ
٣٦	لا أَفْعَلُ ذَلِكَ حَيْرِي دَهْرٌ	٨٨.	ما أقام رَضْوَى مَكَائِهِ
٣٧	لا أَفْعَلُ ذَلِكَ حَيْرِي دَهْرٌ	٨٩.	لا أَفْعَلُ ذَلِكَ ما لَأَلَّتِ الفُورُ بِأَذْنَابِهَا
٣٨	لا أَتِيكَ حَيْرِي الدَّهْرُ	٩٠.	حَتَّى يُلاقِي جَدِي الفَرْقِدَ القَمْرُ
٣٩	لا أَفْعَلُهُ ما جِيرَ الدَّهْرُ	٩١.	حَتَّى يَلِينَ لِضَرْسِ المَاصِغِ الحَجْرُ

٤٠	حاري دهر (الدَّهْر)	٩٢.	لا أفعلُ ذلك ما أمحلتُ أم حائل
٤١	لا أفعلُهُ ما حيَّ حيٌّ أو مات مَيِّتٌ	٩٣.	لا أفعلُ ذلك معزى الفزر
٤٢	لا أفعلُ كذا ما اختلقتِ الدِّرة والجرَّة	٩٤.	لا أفعلُ ذلك ولو نزوت في السكاك
٤٣	لا أفعله ما اختلَف المَلوان والفَتيان والعَصْران والجديدان والأجْدان	٩٥.	لا أفعلُ ذلك ولو نَزوتَ في اللوح
٤٤	لا أفعله ما حوى الليل والنهار	٩٦.	حَتَّى يَنْطِقَ الحَجْرُ
٤٥	لا أفعله ما دام للزَّيتِ عاصِرٌ	٩٧.	لا آتيك هبيرة بن سعد
٤٦	لا آتيك ما دام السَّعدانُ مُسْتَلْقِيًّا	٩٨.	وما هدهد الحمام
٤٧	لا أفعلُهُ ما دَعَا اللهُ دَاعٍ	٩٩.	لا أفعله حتى يَرِدَ الضَّئِبُ
٤٨	لا أفعلُهُ دهرُ الدَّهاريِر	١٠٠.	لا أفعلُهُ حَتَّى يَلِجَ الجملُ في سَمِّ الخياط
٤٩	لا أفعله دهر الداهرين	١٠١.	لا أفعلُ كذا ما دامت يَميني رَفيقة شمالي
٥٠	لا أفعلُهُ ما دَرَّ شارقٌ	١٠٢.	لا أفعلُهُ ما وسقتُ عيني الماء
٥١	لا أفعلُهُ ما أقام عسيبٌ	١٠٣.	لا آتيه يدُ الدَّهْرِ.
٥٢	لا أفعلُهُ ما لآح النَّيران	١٠٤.	لا آتيه يدُ المُسندِ.

الدلالة المركزية لهذه الأمثال تقوم على فكرة الرِّبط بين الامتناع عن المجيء أو امتناع اللقاء، أو امتناع حصول الشيء بأمرٍ يستحيل حصوله أو تغييره مادامت الحياة؛ لأنَّ تعليق الشرط على أمرٍ مستحيل يلزم منه استحالة وقوع المشروط. وقد عُبر عن هذا المدلول العام بأشكال تعبيرية متعدّدة، كما استُخدمت بعض تلك الأمثال في بنيتها اللغوية ألفاظ الزمان المبهمة التي تدلّ على قدر من الزَّمان غير محدّد مثل: (الأبد، والأمد، والدَّهر، والمُسند، والعوض).

كما نجد مجموعة من الأمثال تدور حول دلالة واحدة وهي: (الاستحالة) مع تغير في بنيتها، مثل: (لا أفعلُهُ حتى يَجَنُّ الضَّئِبُ في أثر الإبل الصادرة) و (لا أفعلُهُ حتى يَرِدَ الضَّئِبُ)^(١) وكذا (لا آتيك وزد الجسل)، والجسل: هو ولد الضَّئِب، ومعناها: لا أفعلُهُ أبدًا، لأنَّ ورود الضَّئِب للماء مُحال. والمعنى: تعليق استحالة الفعل بحنين وورود الضَّئِب،

(١) ابن سيدي، المُخصَّص: ٤: ١٧١

وذلك لأنَّ الضَّبَّ ليس له حَيْنٌ، ولا يَرُدُّ الماء أبداً، فهو رَيَّان دائماً، وإذا عطش استقبل الريح ففتح فاه، فيكون هذا بمثابة رِيّه، ولذا قال العرب: (أروى من ضب).^(١)

كما قالوا: (لا أفعله سِنَّ الجسَل)^(٢)، و(لا أرهاها سِنَّ الجسَل) وهما من الأبديات أيضاً، ومعناها: ما بقيت سِنَّه، وسِنَّه لا تسقط أبداً، وقد زعم العرب أنَّ الجسَل، يبلغ مئة عامٍ، ثمَّ تسقط سنَّه فيسمى حينئذٍ ضباً.^(٣)

وقد صوّرت هذه الأمثال معنى استحالة الفعل أو المجيء أو التكلم مدى الدهر بمجموعة من الصّور المترتبة بالحواس؛ فأقامت تلك الصّور المُستمدّة من الحياة مقام الدهر بمفهومه لدى مُبدع المثل، فالدهر له يدان (لا آتية يد الدهر)، وله أضرع (لا أفعله ما حَلَبَ حَالِبٌ أضرع الدهر)، والدهر إنسان (لا آيتيك أوة أبي هبيرة)، وهذا من اتساعهم لأنهم أقاموا اسم الرجل مقام الدهر.^٤

ومما جمع بين هذا اللون من الأمثال أيضاً اعتمادها في توضيح الدلالة على الصّورة الحسيّة البصريّة، التي تُوصِلُ الفكرة إلى مُتلقي المثل كأنه يبصره بعينه، ومن ذلك الرّبط بين فكرة الاستحالة ومجموعة من الصّور الحسيّة البصريّة مثل: (شيب الغراب)؛ فمن المعلوم أنَّ الغراب لا يشيب، فمتلقّي المثل لم يبصر يوماً غراباً شاب ريشه وتحول للبياض فالصّورة الحسيّة البصريّة للغراب تقوم على سواد لونه على الدوام؛ على سبيل التخييل الذي يتعارض مع الواقع، وكذا (لا أفعله حتى تبيض جَوْنَةُ القار)، والقار هو القطران^(٥) والصّورة الحسيّة البصريّة متمثلة بتشبيه استحالة رغبة الشّخص في فعل شيء ماباستحالة بياض القار، الذي يتسم بشدّة السّواد. ومن ذلك أيضاً الجمع بين ضدين كالجمع بين (الأروى والنّعام)، و(الضّب والنّون)، و(الماء والنّار)، ومثل: (انطباق السّماء على الأرض)، ودوام وجود النّجوم في السّماء، وبقاء الماء في الفُرات، واستلقاء السّعدان على الأرض.

ومما يُعمّق دلالة الاستحالة في الأمثال، ويزيدها جمالاً بيانياً ما نراه فيها من استعانة مُبدع المثل بعدد من الصّور الحركيّة المُتمترجة بالصّورة البصريّة والمنتاسبة مع الامتداد الزّماني وذلك بالرّبط بين هذا المعنى العام الذي جمع هذه الأمثال في حقل واحد وهو معنى الاستحالة ومجموعة من الصّور الحركيّة مثل ربط استحالة الفعل بعودة أو رجوع (المُنخَل)، أو (المُنثَم)، أو (مَصْقَلَةٌ) مِنْ سِجِسْتَان، أو مِنْ طَبْرِسْتَان، أو حتّى عودة (القارظالعزّي)، أو (القارظين)، أو رجوع (ضالّة غَطْفَان)، أو مجيء (نَشِيط) مِنْ مَرُو. وكل هؤلاء تستحيل عودتهم لأسباب عرفناها من مناسبة المثل، ومثلها في اتجاه الحركة: (حجّ الرّاكب)، ومن الأمثال البصريّة الحركيّة أيضاً: رجوع (غراب نوح) الذي بعثه نوح -عليه السّلام- كي يرى أمر الأرض هل غرقت؟ فلما ذهب وحد جيفة طافية فوق الماء، فاشتغل بها ونسي ما

(١) الثعالبي، ثمار القلوب في المضاف والمنسوب ٤١٦

(٢) الميداني، مجمع الأمثال ٢: ١٧٦، الزمخشري، المستقصى في أمثال العرب ٢: ٢٤٤

(٣) الميداني، مجمع الأمثال ٢: ١٧٦.

ابن منظور، لسان العرب (دهر) ٤

(٥) ابن سيده، المُخصّص ٤: ١٧١، الميداني، مجمع الأمثال ١: ٤٣٢، الجاحظ، كتاب الحيوان ٥: ٢٧٩، الثعالبي، ثمار القلوب في المضاف

والمنسوب ٦٧٥

أرسل به، فدعا عليه نبي الله. ⁽¹⁾، والحركة المتخيَّلة حركة دائريَّة استطلاعيَّة تتمثل في طواف الغراب حول الأرض. ومثلها وطواف الحافي أو الناعل فوق الأرض.

ومن تلك الصُّور أيضًا: (لا أفعل ذلك ولو نَزَوْتُ في السُّكَّك) وقيل: (لا أفعل ذلك ولو نَزَوْتُ في اللُّوح):
والسُّكَّك، واللُّوح: الهواء بين السَّماء والأرض، وقيل: الذي لا يلاقي أعنان السَّماء، والمعنى: لو صعدت بين السَّماء والأرض لن أفعل ذلك ⁽²⁾ وهي حركة طولية ارتداديَّة، وكذا الصورة البصريَّة الحركيَّة المتمثِّلة باستحالة جزَّ شعر الطُّبَّاء، يقال: جزَّ الصُّوف والشَّعرَ يَجْزُهُ جَزًّا وَجَزَّةً: قطعهُ؛ ⁽³⁾ والغزال يغطي جسمه شعر ناعم خفيف لا يمكن قطعه. وكذا الصُّورة الحسيَّة التي امتزجت فيها الصُّورة الحركيَّة والبصريَّة معا والمستوحاة من القرآن الكريم وهي استحالة ولوج الجمل في سمِّ الخياط، في قولهم: (لا أفعله حتَّى يُلجَّ الجمل في سمِّ الخياط) ⁽⁴⁾ وهي صورة متخيَّلة لولوج الجمل في سم الخياط وهو ثقب الإبرة. وهذه الصورة مبنية على الاستحالة: فكما أنَّه من المُحال أن يدخل الجمل بعظم خلقه في ثقب الإبرة فمحال أن أفعل هذا الأمر.

وكذا الصُّورة المستوحاة من الحديث النبوي: (يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ مُرُوقَ السَّهْمِ مِنَ الرَّمِيَّةِ، ثُمَّ لَا يَرْجِعُونَ حَتَّى يَرْجِعَ السَّهْمُ إِلَى فُوقِهِ) إذ جاء في المثل: (لا أفعل ذلك حتَّى يَرْجِعَ السَّهْمُ إِلَى فُوقِهِ) ⁽⁵⁾ وفوق السَّهْمِ: مَوْقِع الوَثْرِ مِنْ رَأْسِهِ، رَأْسِهِ، وهذا لا يكون، لأن السهم لا يَرْجِع إلى فُوقه أبداً، إنما يمضي فُدمًا إلى الأمام؛ والصُّورة المتخيَّلة المستحيلة هي خروج السهم ومن ثمَّ عودته، فهي حركة ارتداديَّة مستحيلة.

كما نلاحظ جمال هذا اللُّون من الأمثال من خلال امتزاج الصُّورة الحسيَّة البصريَّة بالصُّوت ممَّا يجعل المثل أكثر قبولًا عند المُتلقي، مثل: (تغريد الراكب)، أو (تغريد الحمام)، أو (سجعه)، أو (هددهته) وهو دويُّ هديره، ومثل (حنين الدَّهْماء) وهي الإبل، و(أطيتها) وهو الأنين الذي تصدره تعبًا وحنينًا. ونوع الصُّوت إمَّا أن يبعث على الفرح والسرور من تغريد وهدده وسجع، أو الألم والحزن من حنين وأطيط، كما امتزجت الصُّورة الحسيَّة البصريَّة بالصُّورة الحركيَّة المتمثِّلة في (سير الضَّبِّ) في أثر الإبل، وبالصُّورة السمعيَّة المتمثِّلة في (صوت الحنين) في قولهم: (حتَّى يَحِنَّ الضَّبُّ في أثر الإبل الصَّادِرَة) ⁽⁶⁾ وقولهم: (لا أفعل كذا ما أُرَزَمْتُ أُمَّ حَائِلٍ) ⁽⁷⁾ والإرزام صوتٌ تخرجه الناقة من حلقها لا تفتح تفتح به فاهها، والحائل: الأنتى من أولاد الناقة، ⁽⁸⁾، وهو صوت يوحى بالألم، وقولهم: (لا أفعل ما أبسَّ عبْدٌ بناقتِهِ) ⁽⁹⁾،

(1) الثعالبي، ثمار القلوب في المضاف والمنسوب ٤٠

(2) ابن منظور، لسان العرب (س ك ك)

(3) ابن منظور، لسان العرب (ج ز ز)

(4) الميداني، مجمع الأمثال ٢: ١٧٠

(5) الميداني، مجمع الأمثال ٢: ١٧٠، الهمداني، كتاب الألفاظ الكتابيَّة ص ١٨٥

(6) ابن سيده، المُخصَّص ٤: ١٧٠١

(7) ابن سيده، المُخصَّص ٤: ١٧١، الزمخشري، المُستقصى في أمثال العرب ٢: ٢٤٤

(8) الميداني، مجمع الأمثال ٢: ١٧٣، الزمخشري، المُستقصى في أمثال العرب ٢: ٢٤٤

(9) الميداني، مجمع الأمثال ٢: ١٦٣، الزمخشري، المُستقصى في أمثال العرب ٢: ٢٤٥

والإيساس أن يُقال للناقة عند الحلب (بس بس) وهو صوت للراعي يسكن به الناقة عندما يحلبها؛ أي يُحرّك شفثيه حين يريد أن تقوم له، جعل ذلك علمًا للتأييد أي لا أفعله أبدًا.⁽¹⁾

ومن الصُّور الذهنيّة الجميلة، والمرتبطة بالصُّوت، وبالحرّكة المُتذبذبة غير المُستقرّة ما جاء في المثل: (حتّى يَلينَ لِضِرْسِ المَاضِغِ الحَجَرُ) وهي صورة مُستحيلة الحدوث فالحجر لا يمكن أن يلين بين أضراس الماضغ.

ومن الصُّور الذهنيّة أيضًا والتي أبدع فيها واضع المثل: (لا أفعله ما حَلَبَ حَالِبُ الضَّرعِ الدَّهرِ) وهي صورة ذهنيّة تقوم على تشبيه الدَّهرِ بناقة معطاءة حلوب. والحليب يدلّ على عِظم الفائدة، والدَّهر كذلك يهب الشَّخصَ أعظم التجارب.

تنوع بيئة المثل:

نلاحظ في هذه الأمثال تنوع البيئة التي تنتمي إليها ما بين جاهليّة وإسلاميّة، ومجموعة أخرى يصعب تحديد زمنها، ومن الأمثال الجاهليّة المنزوعة من واقع العرب الاجتماعي، والممثلة لبيئتهم:

- (لا آتيك هُبَيْرَةَ بِنَ سَعْدِ)، و(لا آتيك حتّى يُووبَ هُبَيْرَةُ بِنَ سَعْدِ)⁽²⁾، و(لا أفعلُ ذلكَ هُبَيْرَةَ بِنَ سَعْدِ)⁽³⁾ باختلاف رواياته، إذ تدور قصّة حول: سَعْدِ بِنَ زَيْدِ مَنَاةَ بِنَ تَمِيمِ؛ وهو شاعر وفارس جاهلي قديم عُمِرَ طويلاً وكَبِرَ، فنَطَرَ يوماً إلى شائِهِ، وقد أهملت ولم تُرْعَ، فقال لابنِهِ هُبَيْرَةَ: اسرُخْ في مِعْرَاكَ، فقال: (لا أرعاها حتّى يَجِنُّ الضَّبُّ في آثارِ الإبلِ الصادِرةِ)، فقال لابنِهِ الثَّانِي عَبدُ شَمْسِ: ارْعَها، قال: (لا أرعاها سبعينَ خريفاً)، فقال لابنِهِ الثَّالِثُ صَعْصَعَةُ: ارْعَها، فقال: (لا أرعاها ألوةَ أخي هُبَيْرَةَ)، أراد يمينَ أخي هُبَيْرَةَ، فغضبَ سَعْدُ، وكَظَمَ على ما في نَفْسِهِ، ثمَّ ذهبَ بشائِهِ إلى سوقِ عُكاظِ والناسُ مجتمعونَ فأنهبَهُمْ شاءَهُ...⁽⁴⁾ وواضح من قصّة المثل، ومن ذكر الشخصيات التي ذُكرت في سبب سريان المثل أنّ المثل يعود إلى العصر الجاهليّ.

(1) الميداني، مجمع الأمثال ٢: ١٦٥

(2) المرجع السابق ٢: ١٦٣

(3) الزمخشري، المُستقصى في أمثال العرب ٢: ٢٥١

(4) الميداني، مجمع الأمثال ٢: ١٦٣

وإذا كانت هذه الأمثال التي تُنسب إلى قصّة تُضرب لاستحالة فعل الشيء فإنّ قصّة المثل تروي لنا عصيان الأبناء لأبيهم وعقاب الأب لأبنائه، كما تحكي لنا حرفة من أهم الحرف التي كان يُمارسها العرب ألا وهي حرفة الرعي؛ فالأمثال تُفشي أسراراً كثيرة عن العقليّة العربيّة التي غطّي عليها أحياناً دوي أبواق الشعراء.^(١) وقد تفرّغ عن هذه القصّة مجموعة من الأمثال، وهو ما يُسمّى بالأمثال العنقوديّة^(٢)

- ومن الأمثال التي تُنسب للعصر الجاهليّ أيضاً: (لا آتيك غنم الفِرز)، و(لا آتيك معزى الفِرز)^(٣) أي حتّى يجتمع غنم الفِ وهي لا تجتمع أبداً، والفِرز هو سعد بن زيد بن مناة بن تميم الذي أنهب الناس شاءه في سوق عُكاظ، وقال: من أخذ منها واحدة فهي له ولا يؤخذ منها فرز، وهو الاثنان فأكثر.^(٤) وواضح أنّ هذا المثل مُرتبط بسابقه.

- ومثل ذلك مثلهم المشهور: ((لا آتيك حتّى يُؤوب القارظان))، أو (حتّى يُؤوب القارظ العنزّي)، أو (إذا ما القارظ العنزّي أبا)^(٥)، القارظان: مُنثى قارظ، وأصله اسم فاعل، فعله قرظته يقرظُه قرظاً؛ والقارظ هو الذي يجتني القرظ وهو ورق السَلَم يدبغ به، ومنابت القرظ اليمن. والقارظان رجلان من عنزة خرجا في طلب القرظ (ورق السَلَم)، ولم يرجعا.^(٦)

الأول منهما: يدُكر بن عنزة بن أسد بن ربيعة بن نزار، وهو جاهليّ، خرج مع خزيمة بن نهد القضاعيّ يطلبان القرظ، وكان خزيمة يعشق فاطمة بنت يدُكر، وحدث أنّ يدُكر وخزيمة مرا بهوة من الأرض فيها نحل، فنزل يدُكر فيها بحبل ليقتطف العسل، ودلاه خزيمة بحبل، فلما فرغ يدُكر من جني العسل، قال لخزيمة: أمدني لأصعد. فقال خزيمة: لا والله حتّى تزوجني ابنتك فاطمة، فقال: أعلى هذه الحال؟ لا يكون ذلك أبداً. فتركه خزيمة في الهوة حتّى مات، ولم يُعلم أنّه قتله، حتى قال يشيب بفاطمة (من المتقارب):

فَتَاءٌ، كَانَ رَضَابَ الْعَبِيرِ
بِهَا يَعْلى بِه الزَّجِيلُ
فَتَلَّتْ أَبَاهَا عَلَى حَبِّهَا
فَتَبَخَّلُ إِنْ بَخَلْتُ أَوْ تَبِيلُ

وبسببه وقعت الحرب بين قضاة وربيعة، وتفرقت قضاة عن مكة.

(١) د. ر. بلاشير (١٩٩٨م) تاريخ الأدب العربيّ، ترجمة: إبراهيم كيلاني (دمشق: دار الفكر) ٣: ٤٤١
(٢) الضبي، المفضل بن محمد بن يعلى (١٤٠٣هـ-١٩٨٣م) أمثال العرب، تحقيق: إحسان عباس (بيروت- لبنان: دار الرائد العربيّ، ط ٢) ٤١ مقدمة المحقّق.
(٣) الميداني، مجمع الأمثال ٢: ١٦٣، الزمخشري، المُستقصى في أمثال العرب ٢: ٢٥١
(٤) الميداني، مجمع الأمثال ١: ١٦٣، فصل المقال ١٣٣
(٥) الميداني، مجمع الأمثال ١/٧٥؛ العسكري، جبهة الأمثال ١: ١٠٣، الزمخشري، المُستقصى في أمثال العرب ١: ١٢٧، الهروي، الأمثال ٤٤٤، الثعالبي، ثمار القلوب في المضاف والمنسوب ٤١
(٦) الميداني، مجمع الأمثال ٢: ١٦٣

والقارظ الثاني: رجل من عَنَزَة، يقال له: رُ هُمَاوُ هُمِيم، وقيل: عَقَبَة كان يتصيدُ الوعول، ويدبغ جلودها بالقرظ، فعرض له في بعض الجبال ثعبان فنفخه نفخة سقط منها ميتًا. (1)

- ومن الأمثال التي تدلّ روايتها على جاهليتها: (لا آتيك ما بلّ بحرٌ صوفيةً)، وجاء (لا أفعلُ كذا ما بلّ البحرُ صوفيةً) (2) و«صوفُ البحرِ شيءٌ على شكلِ الصوفِ الحيواني، وحدثه صوفةٌ، يظُلُّ مُبتَلًا بماءِ البحرِ».

- و(ما رَسَى نَبِيرٌ وَجِرَاءُ مَكَانَهُمَا) وجبل نَبِيرٌ يقع على يسار الذهاب من مكة إلى منى يقابل جبل جزاء ويمتدّ منه إلى أن يصل إلى أواخر منى.

ففي حلف الفضول اجتمعَ هاشمٌ وزُهرةٌ وتيمٌ بُن مرةً في دارِ ابنِ جُدعانَ في دارِ عبدِ الله بنِ جدعانَ فصنعَ لهم يَوْمِيذٍ طعامًا كثيرًا، وتحالفوا وتعاهدوا بالله، ليكوننَّ يداً واحدةً معَ المظلومِ على الظالمِ، حتّى يُؤدّى إليه حقّه ما بلّ بحرٌ صوفيةً، وما رَسَى نَبِيرٌ وَجِرَاءُ مَكَانَهُمَا. (3)

ومن هذه الأمثال ما دلّ مضربه على أنّه إسلامي مثل:

- (حتّى يَرْجِعَ نَشِيْطٌ مِنْ مَرُو)، أو (حتّى يَجِيءَ نَشِيْطٌ مِنْ مَرُو) (4) ونشيطٌ: هو بناءٌ بنى دارًا لزيد بن أبي سفيان، وهرب إلى مَرُو قبل إتمامها وكان زياد كالمّا قيل له: أتمم بناء دارك، فيقول: حتّى يَرْجِعَ نَشِيْطٌ مِنْ مَرُو.

- (حتّى يَرْجِعَ مَصْفَلَةٌ مِنْ سِجِسْتَانَ)، أو (حتّى يَجِيءَ مَصْفَلَةٌ مِنْ طَبْرِسْتَانَ) (5)

ومَصْفَلَةٌ: هو مَصْفَلَةٌ بن هبيرة، وكان معاوية بن أبي سفيان قد وجّهه إلى سجستان، فسار وأوغل بجيشه وكان عشرين ألف رجلٍ، فأخذهم العدو، وأهلك أكثرهم، وهلك مَصْفَلَةٌ، وكان ذلك سنة ٥٠ هـ، فضرب الناس به المثل. (6)

ارتباط الأمثال بالخرافة:

كما أنّ هذه الأمثال ارتبطت بقصص تحمل أسماء أعلام، أو أحداثٍ وقعت بالفعل؛ فقد ارتبطت بالخرافة أيضًا، ومنها ما يروى على لسان الحيوان، ممّا يجعل المثل ينحرف عن الحقيقة، وينزاح عن المؤلف، ويفقد مصداقيّة الإسناد، ويحكي لمجرد التسلية والسمر، وقد تنبه الميداني إلى هذا، وأكد في كتابه مجمع الأمثال أنّه نقل ما في كتاب حمزة بن الحسن إلّا ما ذكره من خرزات الرقى وخرافات الأعراب. (7)

(1) الضيقة، علي فوزي (١٩٧١م) الأمثال الشواهد وشرحها في كتاب ثمار القلوب في المضاف والمنسوب لأبي منصور عبد الملك بن محمد

بن إسماعيل الثعالبي (بيروت: دار الكتب العلميّة) ٢٠٤-٢٠٥

(2) ابن سيده، المخصّص ٤: ١٧٠، الميداني، مجمع الأمثال ٢: ١٨٠، الزمخشري، المستقصى في أمثال العرب ٢: ٢٤٦

(3) ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل الدمشقي (١٤١٧هـ-١٩٩٧م) البداية والنهاية، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي (مصر: دار هجر) ٣٦٥: ٢

(4) الميداني، مجمع الأمثال ٢: ١٦٣، الجاحظ، الحيوان ٢: ٤١٩، العسكري، جمهرة الأمثال ١: ٣٦١، الثعالبي، ثمار القلوب في المضاف

والمنسوب ٤١

(5) الجاحظ، الحيوان ٥: ٢٨٠، العسكري، جمهرة الأمثال ١: ٣٢٦

(6) الجاحظ، الحيوان ٥: ٢٨٠

(7) الميداني، مجمع الأمثال ١: ٨

ومن الأمثال التي اخترعت على لسان الحيوان بأسلوب قصصي مّا كان له دوره في حفظ المثل وتثبيتته؛ لما للأسلوب القصصي من دور في التأثير على أفراد المجتمع، ومن تلك القصص:
(لا أفعله حتى يَجَنَّ الضَّبُّ في أثر الإبل الصّادرة)، و(لا أفعله حتى يَرِدَ الضَّبُّ الماء) (1) لأنَّ الضَّبَّ لا يَشْرَبُ الماء، إذ ورد عنهم قول السمكة للضَّبِّ: وِرْدًا يا ضَبُّ فقال:

أَصْبَحَ قَلْبِي صَرْدًا
لا يَشْتَهِي أَنْ يَرِدَا
إِلَّا عَرَادًا عَرْدًا
وَصَلِيَانًا بَرْدًا
وَعَنَّا مُلْتَبِدًا

قوله: (وصلياناً برداً) قال في التكملة تصحيف من القدماء فتبعهم الخلف والزواية: (زرداً) أي بوزن (كنتف) وهو السّريع الازدرد، والضَّبُّ يكنى أبا جسلي (2)

الحقول المعجمية للأمثال التّأبيديّة:

الحقل العام الذي تنتمي إليه الأمثال التّأبيديّة هو حقل الأمثال الدّالة على استحالة فعل الشّيء، ويمكن أن نصنّف مفرداتها وفق الحقول الآتية:

الحقل	حقل الزّمان	حقل الإنسان	حقل الحيوان	حقل الأماكن	حقل الجمادات	حقل النبات
م						
١	الأبد	ابن هُبَيْرَة	الإبل	ثبير	الجِرّة	الرّيّت
٢	الأبدية	الحاجّ	الأرّوى	حراء	جَوْنَة القار	السّعدان
٣	الأبيد	الحافي	ابن أتان	رضوى	الحجر	
٤	الأبيدين	الحي	الجمال	سجستان	الذرّة	
٥	الأرض	الدّاعي	أمّ حائل	طَبْرَسْتان	سم الخياط	
٦	الأزلم الجذع	راحة الكف	الجسلي	عسيب	السهم	

(1) الثعالبي، ثمار القلوب في المضاف والمنسوب ٣٣٩، ابن سيّدة، المخصّص ٤: ١٧٠١
(2) الثعالبي، ثمار القلوب في المضاف والمنسوب ٣٣٩، ابن منظور، لسان العرب (ض ب ب)

٧	البخز	الراكب	الحمام	عوارض
٨	الجديدان	السمير	الدھماء	الفرات
٩	الأجدان	الشعر	الضب	اللوح
١٠	جدي الفرقد	الضرس	الضفدع	مرو
١١	ابن جدير	عبد	الغراب	
١٢	الدهر	عاصر	الغنم	
١٣	الدهارير	العين	الفور	
١٤	الدهارين	عبيس	المعزى	
١٥	سجيسعجيس	عطفان	الناقة	
١٦	السكاك	القارطان	النعام	
١٧	السماء	القارظ العنزى	النون	
١٨	السمر	مصقلة	النيب	
١٩	شارق	المنخل	الطباء	
٢٠	العصران	الميت		
٢١	عوضالعائضين	نسيط		
٢٢	الصرفان	الناعل		
٢٣	أضرع الدهر	هبيرة بن سعد		
٢٤	الفقيان	الماضغ		
٢٥	الفرقدين			
٢٦	القرتين			
٢٧	القمر			
٢٨	الليالي			

الماء	٢٩
المُسند	٣٠
المنون	٣١
المَلوان	٣٢
النَّار	٣٣
النَّجْم	٣٤
جَدْيِ الفَرْقَدِ	٣٥

لقد نشأت الأمثال العربيّة في بيئة شعريّة، كانت اللّغة هي مادته التّعبيريّة التي أمدّته بفيض من المفردات المستوحاة من الصّحراء ومظاهرها وطبيعة الحياة بين أرجائها.

والهدف من وضع هذه المفردات التي تمثّل الأساس في بنيّة المثل في حقول دلاليّة هو الكشف عن علاقتها بالفكرة العامّة التي تجمع الأمثال التّأبيديّة، فدلالة الكلمة تتحقّق من محصّلة علاقاتها بالكلمات الأخرى داخل الحقل المعجمي^(١).

ومن خلال تتبعنا لمفردات الأمثال نجد أنّها تكوّن معجمًا لغويًا يعبر فيه المُبدع عن حياة العرب الاجتماعيّة والنّفاسيّة، وما تحفل به من أنشطة مُتنوّعة، بعيدة عن التّعقيد؛ إذ تأثّرت مفردات أمثالهم بالموجودات المُشاهدة حولهم من كون وإنسان وحيوان ونبات وجماد، فكانت كلمات أمثاله متمثّل هذه البيئّة التي يتفاعل معها الإنسان العربيّ في ذلك الوقت، فمبدع المثل حين ضرب مثله اختار مفرداته من عناصر بيئته.

كما نلاحظ أنّ حقل الزّمان في هذه المجموعة من الأمثال، وخاصّة ما يتصل منها بالزّمن المُبهم أو المُختصّصه و أكثر الحقول مفردات، وهو بهذا يعدّ الحقل المُهيمن الذي له صلة وثيقة بالدلالة العامّة التي تجمع هذا اللّون من الأمثال والمُنصّلة بالعلاقة بين استحالة الفعل والامتداد الزّمني لهذه الاستحالة. والتّركيز على هذا الحقل يُوجد بين طائفة هذا اللّون من الأمثال ترابطًا واتساقًا مع طبيعة الموضوع، إذ بلغت نسبة الأمثال التي ورد فيها الزّمن ٢٨,٨% من إجماليّ عدد الأمثال البالغة مئة وأربعة أمثال.

يليه من ناحية الكثرة حقل الحيوان من إبل وطيور وزواحف، وهذا يشير إلى أثر البيئّة على حياة الإنسان العربيّ؛ إذ يمثل الحيوان فيها جزءًا مهمًا في هذه الحياة؛ ممّا يؤكّد الصّلة الوثيقة المبنية على المودّة بين الإنسان

(١) عمر، أحمد مختار (٢٠٠٩م) علم الدلالة (القاهرة: عالم الكتب، ط٧) ٩٨

والحيوان، فجعلوا للحيوانات أسماء وكُنَى وألقابًا زخرت بها أمثالهم، وتنوّعت أسماء هذا الحقل ما بين طيور وحيوانات، بل نجد للحيوان الواحد أكثر من اسم، مثل (الضَّبّ)، فقد جاء من أسمائه (الجلسل، أبو الحسل)، وبلغت نسبة الأمثال التي وردت فيها أسماء للحيوانات ٢١.٢% من إجمالي عدد الأمثال التّأبيديّة.

الأمثال الشّعبيّة التي تحمل نفس الفكرة:

من الأمثال الشّعبيّة التي تدور حول هذا المعنى المركزيّ؛ ممّا يُقال عند رفض فعل أمرٍ ما رفضًا قطعياً، إشارة إلى معنى الاستحالة؛ فلن يحصل هذا الأمر إلا بحصول هذه الأمور المستحيلة قولهم: (إذا حجّت البقرة على قرونها)، و(لو طلعت في رأسك نخلة، أو شجرة)، و(لما تشوف حلمة ودنك)، و(في المشمش)، و(في الأحلام)، و(لو انطبقت السّماء على الأرض)، و(لو شربت ماء البحر)، و(لو بلّطت البحر)، و(لوتلّحس كوعك)، و(لو خرج جدّي من قبره) ومن الأمثال التي تحمل نفس الدلالة في اللغة الإنجليزيّة (When Pigs Fly)، ومعناها إذا طارت الخنازير، وهو مثل قريب من المثل الشعبي (إذا حجّت البقرة على قرونها) وتستخدم للشّيء المستحيل حدوثه، وكذا (when hens have teeth) ومعناه إذا طلع للدجاج أسنان.

النتائج:

يمكننا تحديد المعنى الاصطلاحي للأمثال التّأبيديّة بناء على ما سبق بأنّها: (أسلوب من أساليب اللّغة العربيّة تقوم على تعليق استحالة فعل الشّيء بأمرٍ يستحيل حصوله أو تغييره مادامت الحياة؛ لأنّ استحالة وقوع الشّرط يستلزم استحالة وقوع المشروط)، ومن أبرز النّتائج:

- ١- جمعت الأمثال التّأبيديّة بين دورها الدلاليّ، ودورها الإيقاعيّ.
- ٢- تقوم فكرة الأمثال التّأبيديّة على:
 - ١- استحالة وقوع الشّرط التي تستوجب استحالة المشروط، كاستحالة الجمع بين المتضادات. واستحالة عودة المفقود.
 - ٢- استمراريّة الشّرط ودوامه التي تستوجب استحالة المشروط، مادام الشّرط قائماً، مثل: (لا آتيك ما دام السعدانُ مُستلّقيًا)
 - ٣- كثرة المقاطع الصوّنيّة المفتوحة الطويلة، والتي تحتاج إلى زمن أطول في النّطق، مع ما فيها من مرور الهواء حرّاً طليقاً دون أن يقف في طريقه أي عائق يتناسب مع الامتداد الزمانيّ الطويل المرتبط باستحالة فعل الشّيء.

- ٤- من السمات الأسلوبية لهذا اللون من الأمثال تكرار التراكيب على نمط واحد في الغالب.
- ٥- من أبرز ما تميّز به هذا اللون من الأمثال اعتمادها على الوسائط الحسية المشاهدة (المكان والزمان والإنسان والحيوان والنبات) مما يدلّ على أنّ الأمثال مثّلت البيئة خير تمثيل.
- ٦- التنوع الإيقاعي القائم على (التكرار، والجناس، والسجع)
- ٧- بنية النضاد من البنيات الأسلوبية التي وظّفها قائل المثل بما يتناسب مع فكرة الاستحالة؛ فاستحالة المجيء أو الفعل كاستحالة الجمع بين المتناقضات في أي واحد.
- ٨- اكتسبت بعض التراكيب دلالتها على الدهر من بنيتها التركيبية، مثل: الأزلم الجذع، غبا غيبس، آخر المسند، أبدا سدا سرمد
- ٩- كثير من الأمثال التأبيدية لا يمكن فهمها إلا من خلال معرفة قصّة المثل (سياق الحال).
- ١٠- استمرارية إنتاج هذا اللون من الأمثال حتّى عصرنا الحالي؛ متميّلاً في الأمثال الشعبية التي حملت نفس الدلالة، وإن خالفت الأنماط العربية القديمة.

قائمة المصادر والمراجع:

- أمين، أحمد (١٩٥٣م)، قاموس العادات والتقاليد والتعابير المصرية (مصر- القاهرة: كلمات عربية للترجمة والنشر)
- الأشموني، أبو الحسن علي بن محمّد بن عيسى (١٤١٩هـ- ١٩٩٨م) شرح الأشمونيّ على ألفيّة ابن مالك (بيروت: لبنان، دار الكتب العلميّة)
- أنيس، إبراهيم (١٩٨٤م) دلالة الألفاظ (القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، طه)
- (١٩٦١م) الأصوات اللغوية (القاهرة: دار الطباعة الحديثة)
- بابستي، عزيزة فوّال (١٤١٣هـ- ١٩٩٢م) المعجم المفصّل في النحو العربي (بيروت: دار الكتب العلميّة)
- بالمر (١٩٩٥م) علم الدلالة (إطار جديد) ترجمة: د. صبري إبراهيم (دار المعرفة الجامعية: مصر- القاهرة)
- البحر اويّ، د. سيد (١٩٩٣م) العروض وإيقاع الشعر العربيّ (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب)
- بشر، كمال محمّد (د.ت) الأصوات العربية (القاهرة: مكتبة الشباب)
- أبو البقاء الكفوي، أيوب بن موسى الحسيني (١٤١٩هـ- ١٩٩٨م)، الكلّيات، معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، تحقيق: عدنان درويش، ومحمّد المصري (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط٣)

- التفازاني، سعد الدين مسعود بن عمر (١٩٧١م) شرح تلخيص مفتاح العلوم، تحقيق: د. عبد الحميد هنداوي (بيروت: دار الكتب العلميّة)
- التهانوي، محمّد علي (١٩٩٦م) موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، تحقيق: علي دحروج (بيروت: مكتبة لبنان)
- الثعالبي، أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل (١٩٦٥م) ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، تحقيق: محمّد أبو الفضل إبراهيم (القاهرة: دار المعارف)
- (١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م) خاصّ الخاصّ، تحقيق: د. محمّد زينهم محمّد عرب (القاهرة: الدار الثقافيّة للنشر)
- (١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م) كتاب فقه اللغة وأسرار العربيّة، ضبطه وعلّق حواشيه: ياسين الأيوبي (صيدا، بيروت: المكتبة العصرية، ط٢)
- ابن الأثير، ضياء الدين (١٩٧٣م) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تحقيق: أحمد الحوفي، وبدوي طبانة (مصر - القاهرة: دار نهضة مصر)
- الجاحظ، أبو عثمان عمر بن بحر (١٩٧١م) كتاب الحيوان، وضع حواشيه: محمّد باسل عيون السود (بيروت: دار الكتب العلميّة)
- الجرجاني، عبد القاهر، دلائل الإعجاز، تحقيق: رضوان الداية وفايز الداية (دمشق: دار الفكر، ٢٠٠٧م)
- ابن جني، أبو الفتح عثمان (١٩٥٥م)، الخصائص، تحقيق: محمّد علي النجار (بيروت: دار الهدى للطباعة والنشر، ط٢)
- الجواري، أحمد عبد الستار (١٩٨٧م) نحو المعاني (بغداد: مطبعة المجمع العلميّ)
- ابن حجة الحموي، تقي الدين أبو بكر علي (١٩٩١م) خزانة الأدب وغاية الأرب، شرح: عصام شقيو (بيروت: دار ومكتبة الهلال)
- حمدان، ابتسام (١٩٩٧م) الأسس الجماليّة للإيقاع البلاغي (حلب: دار القلم العربي)
- أبو حيّان، محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أنير الدين الأندلسي (١٤١٨ هـ - ١٩٩٨ م) ارتشاف الضرب من لسان العرب (القاهرة: مكتبة الخانجي)
- خفاجي، عبد الله عبد الجبّار محمّد عبد المنعم (د.ت) قصّة الأدب في الحجاز (مصر - القاهرة: مكتبة الكليّات الأزهرية)
- الخفاجي، شهاب الدين أحمد بن محمّد بن عمر (د.ت) شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدّخيل، قدّم له وصححه: د. محمّد كسّاش (لبنان، بيروت: دار الكتب العلميّة)

- د. ر. بلاشير (١٩٩٨م) تاريخ الأدب العربي، ترجمة: إبراهيم كيلاني (دمشق: دار الفكر)
- ذهبي، دلخوش جار الله حسين (٢٠٠٤م) البحث الدلالي في كتاب سيبويه (العراق: مطبعة رون)
- دي سوسير، فرديناند (١٩٨٥م) دروس في الألسنيّة العامّة، تعريب: صالح الفرمادي وآخرون (الدار العربيّة للكتاب)
- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن (١٩٧١م) همع الهوامع في شرح جمع الجوامع (لبنان- بيروت: دار الكتب العلميّة)
- ديوانه (١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م) ضبطه وصحّحه: الأستاذ مصطفى عبد الشافي (بيروت: دار الكتب العلميّة، طه)
- ديوان الأعشى الكبير (د.ت) تحقيق: محمد حسين (مكتبة الآداب بالجماميز - لمطبعة النموذجية)
- الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمّد (١٤١٢هـ - ١٩٩٢م) مفردات ألفاظ القرآن، تحقيق: صفوان داودي (دمشق: دار القلم)
- الرضي الاسترآبادي، محمد بن الحسن (١٩٧٨م) شرح الرضي على الكافية، تحقيق: يوسف حسن عمر (ليبيا، بنغازي: منشورات جامعة قاريونس، طبعة منقّحة)
- رودلف زلهابيم (١٩٨٧م) الأمثال العربيّة القديمة، ترجمة: رمضان عبد التّوّاب (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط٤)
- الزبيديّ، السيد محمّد مرتضى بن محمّد الحسيني (١٩٧١م) تاج العروس من جواهر القاموس، اعتنى به ووضع حواشيه: د. عبد المنعم خليل إبراهيم، والأستاذ: كريم سيد محمّد محمود (بيروت: دار الكتب العلميّة)
- الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد (١٩٨٧م) المستقصى في أمثال العرب (بيروت: دار الكتب العلميّة، ط٢)
- (٢٠٠٩م)، تفسير الكشاف، اعتنى به وخرّج أحاديثه: خليل مأمون شيحا (بيروت: دار المعرفة، ط٣)
- زيدان، جرجي (د.ت) الفلسفة اللغويّة والألفاظ العربيّة، مراجعة: مراد كامل (بيروت: دار الهلال)
- السامرائي، إبراهيم (د.ت) في الأمثال العربيّة (الكويت: مطبعة حكومة الكويت)
- السدوسي، أبو فيد مؤرّج بن عمر (١٩٨٣م) كتاب الأمثال، تحقيق: د. رمضان عبد التّوّاب (بيروت: دار النهضة العربيّة)
- السعدي، عيسى إبراهيم (٢٠١٢م) المرجع الشافي في البلاغة العربيّة: (البيان. المعاني. البديع)، (عمان: دار أمواج للنشر والتوزيع)

- سيبويه (١٩٨٢م) الكتاب، تحقيق: عبد السلام هارون (القاهرة: مكتبة الخانجي، ط٢)
- ابن سيدة، أبو الحسن بن إسماعيل (١٤١٧هـ-١٩٩٦م) المُخصَّص، قدّم له: د. إبراهيم خليل جفّال (لبنان- بيروت: دار إحياء التراث العربيّ، مؤسسة التاريخ العربيّ)
- السيوطي، عبد الرحمن جلال الدين (د.ت) المزهري في علوم اللغة وأنواعها، شرحه وضبطه وصحّحه: محمّد أحمد جاد المولى، ومحمّد أبو الفضل إبراهيم، علي الجاويّ (صيदा- بيروت، منشورات المكتبة العصريّة)
- الضبي، المُفضّل بن محمّد بن يعلى (١٤٠٣هـ-١٩٨٣م) أمثال العرب، تحقيق: إحسان عباس (بيروت- لبنان: دار الرائد العربيّ، ط٢) ٤١ مقدّمة المُحقّق.
- (١٩٧٩م) المفضليات، تحقيق: أحمد محمّد شاكر، وعبد السلام هارون (القاهرة، دار المعارف، ط٦)
- الضبيّة، علي فوزي (١٩٧١م) الأمثال الشواهد وشرحها في كتاب ثمار القلوب في المضاف والمنسوب لأبي منصور عبد الملك بن محمّد بن إسماعيل النّعاليّ (بيروت: دار الكتب العلميّة)
- الطرابلسي، إبراهيم بن علي الأحذب (د.ت) فرائد اللال في مجمع الأمثال، قدم له ووضع فهارسه: إبراهيم شمس الدين (بيروت: دار الكتب العلميّة)
- أبو الطيب اللغويّ، عبد الواحد (١٣٨٠-١٩٦٦م) المثني، حقّقه وشرحه: عزّ الدين التنوخيّ (سوريا، دمشق: مطبوعات المجمع العلميّ العربيّ)
- العسكري، الحسن بن عبد الله بن سهل (١٤٠٨هـ-١٩٨٨م) كتاب جمهرة الأمثال، تحقيق: محمّد أبو الفضل إبراهيم، وعبد المجيد قطامش (بيروت: دار الجيل، ودار الفكر، ط٣)
- علي، أسعد أحمد (١٩٨٥م) تهذيب المقدمة اللغوية للعلايلي (دمشق: دار السؤال للطباعة والنشر، ط٣)
- عمر، أحمد مختار (٢٠٠٩م) علم الدلالة (القاهرة: عالم الكتب، ط٧) ٩٨
- ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن زكريا (١٩٩٣) الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها، تحقيق: عمر فاروق الطباع (بيروت: مكتبة المعارف)
- (٢٠٠٢م) مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمّد هارون (بيروت: اتحاد الكُتّاب العرب)
- فندريس (١٩٥١م) اللغة، تعريب: عبد الحميد الدواخلي، ومحمّد القصاص (القاهرة: مكتبة الأنجلو المصريّة)
- الفيروز آبادي، محمّد بن يعقوب مجد الدين (١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م) القاموس المحيط (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط٨)
- قدور، أحمد محمّد (١٩٩٣م) المدخل إلى فقه اللغة العربيّة (دار الفكر المعاصر للطباعة والنشر والتوزيع)

- قطامش، عبد المجيد (١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م) الأمثال العربية دراسة تاريخية تحليلية (دمشق: دار الفكر)
- ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل الدمشقي (١٤١٧هـ - ١٩٩٧م) البداية والنهاية، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي (مصر: دار هجر)
- ابن مالك، أبو عبد الله جمال الدين محمد بن عبد الله (١٩٨٢م) شرح الكافية الشافية، تحقيق: د. عبد المنعم أحمد هريدي (مكة: جامعة أم القرى)
- الميرد، أبو العباس محمد بن يزيد (١٤١٥هـ - ١٩٩٤م) المُقتضب، تحقيق: محمد عبد الخالق عزيمة (مصر، القاهرة: المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية)
- مبروك، مُراد عبد الرحمن (٢٠١٢م) النظرية النقدية من الصوت إلى النص (جدة: النادي الثقافي الأدبي)
- المرزوقي، أبو علي أحمد بن محمد بن الحسن (١٤١٧هـ) كتاب الأزمنة والأمكنة (بيروت: دار الكتب العلمية)
- (د.ت) شرح الفصيح لثعلب، قراءة وتحقيق: د سليمان إبراهيم العايد.
- المسدي، عبد السلام (د.ت) الأسلوبية والأسلوب (الدار العربية للكتاب، ط٣)
- مصلوح، سعيد (١٤٢٤هـ) في البلاغة العربية والأسلوبيات اللسانية (القاهرة: عالم الكتب)
- ابن منظور، جمال الدين، أبو الفصل محمد بن مكرم (١٩٥٥م) لسان العرب (بيروت: دار صادر)
- الميداني، أبو الفضل أحمد بن محمد (١٢٩٠م) مجمع الأمثال (طهران: الأستانة الرضوية)
- الهروي، أبو غبيد القاسم بن سلام (١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م) الأمثال، تحقيق: د. عبد المجيد قطامش (دمشق: دار المأمون للتراث)
- ابن هشام، (١٩٨٥م) مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تحقيق: د. مازن المبارك، وراجعته: محمد علي حامد (بيروت: دار الكتب العلمية)
- الهمداني، عيد الرحمن بن عيسى بن حماد (١٩٧١م) كتاب الألفاظ الكتابية، قدّم له ووضع حواشيه وفهارسه: د. اميل يعقوب (لبنان- بيروت: دار الكتب العلمية)
- ابن يعيش، موفق الدين أبو البقاء يعيش بن علي (١٩٧١م) شرح المفصل للزمخشري، قدّم له ووضع هوامشه وفهارسه: إميل بديع يعقوب (دار الكتب العلمية: لبنان- بيروت) ٥: ٩٧